إِبرَاهِيمُ بنُ المُدَبِّرِ

obeikandl.com

obeikandl.com

حياته وشعره

اسمُهُ وكُنْيتُهُ وَلَقبُهُ:

هـوَ إبراهيمُ بنُ محمّـدِ بنِ عُبَيْدِ اللّهِ بنِ المُـدبّرِ[1]، يُكْنَى بِـأبي إسحاق[2]، ويُلَقَّبُ بالضَّبِّيِّ[3].

---

(١) يُنظر: معجم الأدباء ١/٢٢٦.

(٢) يُنظر: الأغاني ٢٢/١٥٧.

من الجدير بالذكر أنَّ الأستاذَ محمَّدَ كُرْد عليّ كَنَّاهُ بأبي اليُسْر (رسائل البلغاء ٢٢٧) وجَاراهُ بعضُ المحدثينَ، ولكنَّه جعلَ له كُنيتينِ فقال: (وأوّلُ من صنّفَ في صِناعةِ النثرِ أبو إسحاقَ (ويكنىٰ أبا اليسر) إبراهيمُ بنُ محمّدِ بن عُبيد اللهِ بنِ المدبرِ (تاريخ الأدب العربي لبروكلمان ٢/١١٧). ونحسبُ أنَّ هذا وَهْمٌ، وأنّه لم يُكْنَ إلاّ بأبي إسحاقَ، وجاءتْ هذهِ الكُنيةُ على ألسنةِ الشعراءِ والمؤلفينَ، ولم يشر أحدٌ من القدماء إلى تكنيته بأبي اليسرِ. ينظر: ديوان البحتري: ٣٣١، ٤٢٧، ١٠٦٥، ١٠٦٦، ١٨٧٢، ١٩٦١، ١٦٩٤، وديـوان ابن الـرّومي: ٢٤٠٣، والأغـاني ٢٢/١٥٧، ١٧٧، ٢٣/٢٤، ومعجم الأدباء ١/٢٢٦.

(٣) ينظر: ديوان البحتري ٣١٧، وديوان المعاني ٢/٢٢٠، وسمط اللآلي ١/١٣٤.

والجديرُ بالذكر أنه ورد في العقد الفريد (٤/١٧١، ١٧٢، ١٨٠) ما يُفهم منه تلقيبه بالشَّيبانيّ، جاء ذلك في مقدّمةِ النصوصِ التي استشهدَ بها ابنُ عبدِ ربّه، وهي أجزاءٌ من الرسالةِ العَذْراءِ المنسوبةِ إلى ابنِ المدبّر، ونحسبُ أن هذا وهمٌ أيضاً، وَدَليلُنا على ذلك أنَّ أحداً من مادحِيه أو هَاجيهِ من الشعراء أو من مُترجميه وذاكري أخبارِه لم يلقّبْهِ بهذا اللّقبِ.

ومعلومٌ انَّ الشعراءَ وخاصةً في حالِ غَضبِهم كثيراً ما كـانوا يُعَيّـرونَ ويَنبزونَ =

ويُعْرَفَ بآبنِ المُدَبِّرِ[1].

وآلُ المُدَبِّرِ من دَسْتُمِيسانَ، وهي كُورةٌ بينَ واسطَ والبصرةِ والأهوازِ وهي إلى الأهواز أقربُ[2].

وجَديرٌ بالذِكرِ أَنَّنا لا نعرفُ الوقتَ أو السَّببَ الذي لُقِّبَ بهِ بَنو المُدَبِّرِ بهذا اللَّقبِ. وهو بدونِ شكٍّ مَأْخوذٌ من التَّدبيرِ، وفي ما وصلَ إلينا من مدائحِ الشُّعراءِ وإشاراتِهم إليهِ دَليلٌ على هذا.

وقد اختلفَ في ضَبْطِ هذا اللَّقبِ أيضاً، فجاءَ في مُعْجَمِ الأُدباءِ: «المُدْبِرِ» بسكون الدَّال وكَسْرِ الباءِ[3]، وجاءَ في المُشْتَبَهِ بتشديدِ الدَّالِ وفَتحِها[4].

وجاءَ في الشِّعْرِ ما يَدلُّ على أَنَّهُ بتَشديدِ الدَّالِ وكَسْرِها، قالَ ابنُ عبد كان في أحمدَ بنِ المُدَبِّر:

لَولا قِيامُكَ بالدُّنيا تُدَبِّرُها ... يا آبنَ المُدَبِّرِ لاستَهوَىٰ بِها العَطَبُ[5]

= مَهجويهم بمثلِ هذه الأُمور. وقد هجا ابنُ الرُّوميِّ ابنَ المدبّرِ أكثرَ من مرَّةٍ ولكنه لم يَنْبِزْهُ بانتحالِ لقب الشَّيبانيِّ، ينظر ديوانه: ٤٠٣، ٤٧٥، ٦٠٣، ٧٣٦ ـ ٧٣٩، ٧٧٩ ـ ٧٨٠، ١٠٧٩، ١٥٦٢، ١٥٦٣، ١٦٤٥، في حين نرى ابنَ الرومي قد غمَزَ إسماعيلَ بنَ بُلبُلٍ بهذا اللَّقبِ الذي كان يَدَّعيهِ (ديوانه ٢٩٩)، كما أَنَّ بعضَ الشعراء غمَزَ ابنَ المدبّرِ بانتسابهِ إلى ضبَّة (معجم الشعراء ٤٠٩، ومعجم الأدباء ١/٢٣١).

(١) ينظر: ديوان البحتري ١٠٥٨، ١٠٦٤، ١٥٤٨، ١٦٩٧، وديوان ابن الرومي: ٧٣٦، ١٠٩٥، ١١١٨، والأغاني ٢٢/١٥٧، وإعتاب الكتاب ١٥٩.

(٢) ينظر: معجم الأدباء ١/٢٢٨، ومعجم البلدان ٢/٤٥٥.

(٣) معجم الأدباء ١/٢٢٦، والجدير بالذكر أنَّ ضَبطَ الاسم على هذا النحو من عمل الناشر.

(٤) المشتَبه في أسماء الرجال: ٥٨١، وتبع الذهبيَّ غيرُ واحدٍ ممن ذكر هذا اللقب من المحدثين.

(٥) الوافي بالوَفَيات ٣/٣١٥.

وقالَ البُحتُرِيُّ في إبراهيمَ:

كِلُوا الغايَةَ القُصْوَى إلى مَنْ يفوتُكمْ بها، وَدَعُوا التَّدبيرَ لِابنِ المُدَبِّرِ[1]

وجاء في وفياتِ الأَعيانِ في الحديثِ عن أحمدَ بنِ المُدَبِّر:

«والمُدَبِّرُ: بكسرِ الباءِ المُوحَّدةِ المُشدَّدةِ»[2].

ولادتُـــهُ:

ذَكَرَ الكُتبيُّ والصَّفَدِيُّ أَنَّ وِلادةَ إبراهيمَ كانت في سنةِ ٢١١ هـ[3]، غيرَ أنَّ هناكَ خَبَراً رَواهُ آبنُ المُعتزِّ عن آبنِ المُدَبِّرِ نفسهِ أَشارَ فيه إلى أنَّه خَرجَ مَعَ المأمونِ إلى أرضِ الرّوم، يَطلبُ ما يَطلَبُهُ الأَحداثُ مِن الرِّزقِ، فكانَ يَسيرُ مَعَ العَسْكرِ[4]. ومَعلومٌ أنَّ المأمونَ شَخَصَ من مَدينةِ السَّلامِ لِغَزْوِ الرّومِ في سنة ٢١٥ هـ وبقي إلى سنة ٢١٦ هـ[5].

وإذا افتَرَضْنا أَنَّ آبن المُدَبِّرِ في سنة ٢١٥ هـ كان في الخامسةَ عَشْرَةَ أو السَّادسةَ عَشْرَةَ، فتكونُ وِلادتُهُ في سنة ١٩٩ هـ أو ٢٠٠ هـ[6].

ونحنُ لا نعرِفُ شَيئاً عَن مَسْقَط رَأْسِ الرَّجلِ، ولكنَّ الزِّركلي أَشارَ إلى أَنَّهُ «من أَهلِ بغدادَ»[7].

---

(١) ديوان البحتري ١٠٦٤.

(٢) ٥٦/٧، وينظر: مجلة الأقلام الجزء الحادي عشر ١٩٦٩ ص ٣٤.

(٣) ينظر: فوات الوفيات ٤٧/١، والوفي بالوفيات ١١٠/٦.

(٤) يُنظر: الأغاني ٦٤/٢١.

(٥) ينظرُ: الطبري ٦٢٣/٨، ٦٢٥ حوادث سنة ٢١٥ هـ، و٢١٦ هـ.

(٦) جاء في تاج العروس: «وحَداثةُ السِّنِّ: كِنايةٌ عن الشَّباب وأَوْلِ العُمُرِ... ورجلٌ حَدَثٌ: أي شَابٌّ». والجدير بالذكر أنّ بعضَ دارسي ابن المدبّر أشارَ إلى ولادته مُستنِداً على هذا الخبرِ فقال: «والذي تحقَّقَ لي أنَّ إبراهيمَ بنَ المدبرِ ولد في إحدى السنوات الخمس الأولى من القرن الثالث الهجري». الأقلام الجزء ١١ السنة الخامسة ص ٣٥.

(٧) الأعلام ٥٦/١.

حَيـاتُـــهُ:

لَيسَ من السَّهلِ على الدَّارسِ ـ حِينَ تُقْتَضَبُ الأَخبارُ، أو تُطْمَسُ بَعضُ مَعالِمِها، أو تَتداخلُ، أو يُسْكَتُ عن تَسَلْسلِها أو تأريخِها ـ أَنْ يَرْسُمَ صُورةً دَقيقةً واضِحةَ المَعالمِ، سَليمةَ التّدرُّج، لِمَنْ يَحتَفِلُ بِدراستِهِ من الأَعلامِ الأَدبيةِ أو التأريخيةِ. وآبنُ المُدبِّرِ واحِدٌ من أولئكَ الذينَ يَصْدقُ عَليهِم ما سَبَقَ ذكرُهُ.

وسَأحاولُ ـ مَعَ ذلكَ ـ أَنْ أُوضِّحَ شَيْئاً من مَلامحِ هذهِ الصُّورةِ بِما تَجمَّعَ لَدَيَّ من نُصوصٍ وأَخبارٍ عنها.

يَظهرُ أَنَّ أَوَّلَ ما يُطالعُنا من سِماتِ هذهِ الصُّورةِ الخَبَرُ الذي رَواهُ ابنُ المُعتزِّ عن إبراهيمَ هذا، وهو يُشيرُ إلى أَنَّهُ كانَ حَدَثاً وأَنَّهُ خَرَجَ مَعَ المأمونِ إلى أرضِ الرُّومِ، يَطلُبُ ما يَطلُبُهُ الأَحْداثُ من الرِّزقِ، فكانَ يَسيرُ مَعَ العَسْكَرِ، وأَنَّهُ رَاهَنَ بَعْضَ أَتْرابِهِ في أَنْ يَمُرَّ في جَنَباتِ العَمَّارِيّاتِ[1]. وتَقَدَّمَ أَنَّ خروجَ المأمونِ إلى أرضِ الرّومِ كان في سنة ٢١٥ هـ[2].

وتختفي مَعالمُ تِلكَ الصُّورةِ بَعْدَ ذلكَ، ولكنَّها تَبْرزُ واضِحةً جَليَّةً في عهدِ المُتوكِّلِ الذي آسْتُخْلِفَ في سنة ٢٣٢ هـ[3].

وأَشارَ غَيْرُ واحدٍ من مُتَرْجِميهِ وذَاكِري أَخبارِهِ إلى صِلتِهِ القَويّةِ الطَّويلةِ بالمُتوكِّلِ، فقالَ الصُّولي: (وَخدَمَ المُتوكِّلَ وكانتْ له عِندَهُ حُظْوَةٌ)[4]، وقال أبو الفَرَجِ: (وكانَ المُتوكِّلُ يُقدِّمُهُ ويُؤْثِرُهُ ويُفضِّلُهُ)[5]، وقالَ الصَّفَدِيُّ:

---

(١) ينظر: الأغاني ٢١/٦٤. العَمّاريّات: الهوادج.

(٢) ينظر: الطبري حوادث ٢١٥، و٢١٦ هـ.

(٣) ينظر: البحتريّ في سامراء حتّى نهاية عصر المتوكل ١٥٧.

(٤) إعتاب الكتّاب ١٥٩.

(٥) الأغاني ٢٢/١٥٧.

(خَدَمَ المُتوكِّلَ مُدَّةً طَويلةً)[1].

وهناكَ أَخبارٌ في عَلاقَةِ ابنِ المُدَبِّرِ بالمُتوكِّلِ تَدُلُّ على صِلَتِهِ القَويّةِ، ومَكانِهِ القَريبِ من نَفْسِ الخَليفةِ. فَقدْ رُوِيَ عنهُ قَولُهُ: (لَمَّا ظُهِّرَ المُعتزُّ، اجتَمعَ مَشايخُ الكُتّابِ بَينَ يَدَيْ المُتوكّلِ...)[2]، وكانَ أَحَدَ مَنْ خَرَجَ مَعَ إسحاقَ بنِ إبراهيمَ عَاملِ الشُّرْطةِ ببغدادَ حِينَ أَوعَزَ المُتوكِّلُ إليهِ بالقَبْضِ على إيتاخَ في سنة ٢٣٥ هـ[3].

وشارَكَ الشُّعَراءَ في الثَّناءِ علَى مُبايَعةِ المُتوكِّلِ لِبنيهِ الثَّلاثةِ بِـولايةِ العَهْدِ وذلكَ في سنة ٢٣٥ هـ[4]، وهوَ الذي اقتَرَحَ على المُتوكّلِ إقطاعَ مروانَ بنِ أَبي الجَنوبِ الذي قَدِمَ من اليَمامة لِتأْييدِ مُبايعةِ الخليفةِ لِبنيهِ بِولايةِ العَهْدِ، لِقاءَ أَجْرٍ سَنوِيٍ زَهيدٍ[5].

ورُوِيَ عن ابنِ المُدَبِّرِ أَنَّهُ كانَ وَاقِفاً بَينَ يَدَيْ المُتوكّلِ وقَدْ جِيءَ برأسِ أَحَدِ الخارجينَ عَلَى الخَليفةِ فارتَجَلَ عَليُّ بنُ الجَهْمِ شِعْراً في ذلك[6]. كَما رُوِيَ عَنهُ خَبرُ ثَلْبِ المُتوكّلِ لِابنِ الجَهْمِ هذا[7].

وكانَ إبراهيمُ يَنْتَهزُ كُلَّ فُرْصةٍ لإظهارِ حُبِّهِ لِلمُتوكّلِ وإخلاصِهِ لهُ، فَرُوِيَ عنهُ، أَنَّ المُتوكّلَ مَرِضَ مَرْضَةً خِيفَ عَليهِ منها ثُمَّ عُوفِيَ وأَذِنَ لِلنّاسِ في الوصولِ إليهِ، فَدَخَلَ في جُمْلةِ مَنْ دَخلَ عليهِ وأَنشَدَ قَصيدةً في مَدْحِهِ أَعْجبَ بها الخَليفةُ وقالَ لِلفَتْحِ صَديقِهِ: (إنَّ إبراهيمَ لَيَنْطِقُ عَنْ نِيَّةٍ خَالصةٍ وَوُدٍّ مَحْضٍ، وَمَا قَضَيْنا حَقَّهُ فَتقدَّمْ بأنْ يُحْمَلَ إليهِ السَّاعةَ خمسونَ أَلفَ

---

(١) الوافي بالوفيات ١٠٧/٦، وينظر: فوات الوفيات ٤٥/١.
(٢) الدّيارات ١٥٤.
(٣) ينظر: الطبري حوادث ٢٣٥ هـ.
(٤) ينظر: مروج الذهب ٥/٤.
(٥) ينظر: الطبري ٢٣٢/٩، والأغاني ٨١/١٢.
(٦) ينظر: ديوان المعاني ٢٢٠/٢ ـ ٢٢١.
(٧) ينظر: الأغاني ٢١١/١٠.

دِرْهم، وتقدَّمْ إلى عُبَيْدِ اللّهِ بن يَحيَى بأَنْ يُولِّيَهُ عَمَلاً سَرِياً يَنتَفعُ به)[1]. ورُوِيَ أيضاً أَنَّ المُتوكّلَ (وَلاَّهُ دِيوانَ الأَبنيةِ)[2].

ويَظهرُ أَنَّ حُبَّ الخليفةِ ومَيْلَهُ إلى ابنِ المُدبِّرِ لم يُرْضِيا وَزيرَهُ، وكأَنَّهُ أَوْجَسَ خِيفَةً من هذهِ الصِّلة لمَا كانَ عليهِ إبراهيمُ مِن حَيويةٍ وذَكاءٍ وآقتدارٍ، فآهْتَبَلَ فُرْصةَ إخْفاقِ أَخيهِ أحمدَ في عملهِ ـ إذا صَحَّ ـ لِلإيقاعِ بهما والعَمَلِ على نَكْبتِهما. وقد رُوِيَ عن بعضهم في ذلك قولُهُ: (كانَ أَحمدُ بنُ المُدبِّرِ وَلِيَ لِعُبيد اللّهِ بنِ يحيى بنِ خاقانَ عَمَلاً، فلم يَحمَدْ أَثَرَهُ فيه، وعَمِلَ على أَنْ يَنكُبَهُ. وبَلغَ أَحمدَ ذلكَ فَهربَ، وكانَ عُبيدُ اللّهِ مُنحرفاً عن إبراهيمَ، شَديدَ النَّفاسةِ عليهِ برأيِ المتوكّلِ فيهِ، فأَغراهُ به، وعَرَّفَهُ خَبرَ أَخيهِ، وادَّعَى عليهِ مالاً جَليلاً، وذكَرَ أَنَّهُ عندَ إبراهيمَ أَخيهِ، وأَوْغَرَ صَدْرَهُ عليهِ حَتَّى أَذِنَ لهُ في حَبْسِهِ)[3].

لقد حُبِسَ لِلسبب الذي اتّهمَ به، غيرَ أنّه يُخبرُنا في شعرهِ ـ وهو محبوسٌ ـ أَنَّهُ كان مظلوماً، وأَنَّ أَعداءَهُ ظَفِروا بهِ عن حِيلةٍ، وهو يَرجو أَنْ يَجمعَهُ وإِيَّاهُم مَجلسٌ لِيدافعَ عن نفسهِ، ويَدْرأَ عنها الشُّبُهاتِ ولِيَظهرَ الحقُّ

---

(١) نفسه ٢٢/١٥٧ ـ ١٥٨.

(٢) الوافي بالوفيات ٦/١٠٧.

(٣) الأغاني ٢٢/١٥٩، وينظر: الفرج بعد الشدّة ٢/١٢٤، وفيه: (وذكر ابن عبدوس في أخبار الوزراءِ أنَّ نجاحَ بن سَلَمةَ حبسَ إبراهيمَ بن المدبّر مكايدة لأخيه، وذلك في أيام المتوكل). من الجدير بالذكر أن الطبري أشار في حوادث ٢٤٥ هـ إلى أن نجاح بن سلمة طلب إلى المتوكل أن يدفعَ إليه قوماً حتى يستخرجَ له منهم أموالاً، ذكر منهم اثني عشَر رجلاً، مع أنه قال: إن عددهم نحوٌ من عشرين رجلاً. غير أن في الخبر شيئاً آخر، وهو قول عبيد الله بن يحيى للمتوكل يردّ على دعوى نجاح: يا أمير المؤمنين أراد ألاَّ يدعَ كاتباً ولا قائداً إلاّ أوقع بهم..

وواضح من الخبر أن عبيد الله بن يحيى لم يرض بما سعى به نجاح في مصادرة الكتّاب والقواد، فهل ما رواه صاحب الفرج بعد الشدة غير صحيح، وأنه التبس عليه الأمر في هذه الحكاية؟.

ويَبينَ، فينالَ الخائنُ جزاءَهُ، وليَحكمْ في أَمْرِهِ وأَمرِ أَعدائِهِ حاكمٌ مُنْصِفٌ عَدْلٌ. وذكرَ في شعرِهِ أَسماءَ بعضِ مَنْ كادُوا له، وَسَعَوْا به فأوقعوهُ في مِحنتِهِ، فهوَ يَقولُ مِن قصيدةٍ وَجَّهَ بها إلى أبي عُبَيْد اللّهِ بنِ حَمدونَ النديمِ يسألهُ إِذكارَ المتوكّلِ والفتحِ بأمرِه:

وأبــو عُمْــرانَ مُــوسَى حَـنِقٌ ... حــاقــدٌ يَــطلُبـني بــالإِحَـنِ
وعُـبَـيْـدُ الـلّهِ أيـضــاً مِـثـلُهُ ... ونَجــاحٌ بي مُجِــدٌّ مَــا يَنِي
. . . . . .
مـا رأَىٰ القَومُ كـذنبي عِندَهُمْ ... عُــظْمُ ذَنـبي أَنَّـني لَـمْ أَخُنِ
ظِفــرَ الأَعــداءُ بي عَنْ حِيلَةٍ ... وَلَـعَـلَّ الـلَّهَ أَنْ يُـظفِـرَنـي
لَيْتَ أَنّـي وَهُمُ فـي مَجْـلِسٍ ... يَـظْهَــرُ الحَقُّ بِــهِ لِـلْفَـطِنِ
فَـتَــرَىٰ لي وَلَـهُمْ مَـلْحَـمَـةً ... يَهْلِكُ الخَـائِنُ فيها والـدَّني
والّــذي أَســألُ أَنْ يُنصـفَني ... حــاكِمٌ يَقْضي بِمـا يُلْزِمُني[1]

وحاولَ ابنُ المُدبِّر ـ على ما يظهرُ ـ في أوّلِ عهدِه بالحبسِ أَنْ يتجلّدَ ويَتظاهرَ بالصَّبرِ واحتمالِ المكروهِ. فأَخذَ يُعلّلُ وجودَهُ في غَياهِبِ السّجنِ، وَيتذرَّعُ بكلِّ وَسيلةٍ لِيَبدوَ مُتماسكاً قَويّاً، وكأَنّى به يُريدُ أَنْ يُقلّلَ من شَأْنِ ما حاكَهُ له أَعداؤُهُ من مَكِيدةٍ، ودَبَّروا له من حِيلةٍ، فهو يقول:

تسلَّيْ لَيسَ طُولُ الحَبسِ عَاراً ... وفيـهِ لَنـا مِن اللّهِ اختِبــارُ[2]

ويقول:

هُوَ الحَبْسُ مَا فيهِ عَلَيَّ غَضَاضَةٌ ... وهَلْ كانَ في حَبْسِ الخليفةِ من عَارِ

---

(١) الأغاني ٢٢/١٦٨ ـ ١٦٩.
(٢) الأغاني ٢٢/١٥٩.

أَلستِ تَرَيْنَ الخمرَ يَظهَرُ حُسنُها وبَهجتُها بالحَبْسِ في الطِّينِ والقَارِ
وَمَا أَنا إلَّا كالجَوادِ يَصُونُهُ مُقوِّمُهُ لِلسَّبْقِ في طيِّ مِضْمارِ
أَوِ الدُّرَّةِ الزَّهراءِ في قَعْرِ لُجَّةٍ فَلا تُجتَلَى إلَّا بِهَوْلٍ وأَخطارِ[1]

وبقول:

لا تُؤيسَنَّكَ مِن كَريمٍ نَبْوَةٌ فالسَّيفُ يَنبُو وهْوَ عَضْبٌ بَاتِرُ
والحَبْسُ يَحجُبني وفي أكنافِهِ مِنّي عَلَى الضَّرَّاءِ لَيْثٌ خَادِرُ[2]

وبعدَ أَنْ طالَ حَبسُهُ، وتَعذَّرَ خلاصُهُ، بسببِ عَضْلِ عُبيدِ اللّهِ وتَشدُّدِهِ، أحسَّ بشدّةِ وَطْأَةِ الحَبْسِ عليهِ، وثِقْلِ ما يَنوءُ بهِ من حَديدٍ، فَتَغيَّرَتْ صُورةُ السِّجْنِ لَدَيْهِ، وَبَدَتْ عَزيمتُهُ تَضْعفُ، وقُواهُ تَخورُ، وصَبرُهُ يَنْفَدُ، وإذا بهِ يقول في مُقدّمةِ قصيدةٍ له وجّهها إلى أَحدِ مُقرّبيهِ يُناشدُهُ فيها ويَسأَلُهُ إذكارَ الخليفةِ وصديقهِ بأَمره:

كَمْ تُرَى يَبقَى عَلى ذا بَدَني قَدْ بَلِي مِنْ طُولِ هَمٍّ وضَنِي
أَنَا في أَسْرٍ وأَسْبَابٍ رَدَىً وَحَديدٍ فَادحٍ يَكْلِمُني[3]

وأحسَّ أَخوهُ أَحمدُ بِما يَلقاهُ أَخوه مِن عَنَتِ السِّجْنِ، فأخذَ يُصبِّرُه ويواسيهِ، ويُقوِّي عزيمَتَهُ بقوله:

أَبا إسحاقَ إنْ تَكُنْ اللَّيالي عَطَفْنَ عَليكَ بالخَطْبِ الجسيمِ
فَلَمْ أَرَ صَرْفَ هذا الدَّهْرِ يَنحو بِمَكْروهٍ عَلى غَيْرِ الكَريمِ[4]

---

(١) نفسه ٢٢/١٦٠.
(٢) نفسه ٢٢/١٥٩ ـ ١٦٠.
(٣) نفسه ٢٢/١٦٨.
(٤) المنتحل ٢٦٩.

ولم تتخلَّف صديقتُهُ المُغنيّةُ (عَريبُ) من مُساندتِه ومُساعدتِه في محنتِه هذه، فَسألت الخليفةَ في أمرِه، فوعدَها بما تُحبُّ، فكتبتْ إلى إبراهيمَ بذلك فأجابَها مُثنياً عليها، وشاكراً لها صَنيعَها[1].

ويَظهرُ أَنَّ كلَّ ما بُذِلَ مِن مَسْعىً في سبيلِ إطلاقِه من الحَبْسِ لم يُجْدِ نَفْعاً، وبَقِيَ الرَّجلُ حَبيساً، يُلاقي الضِّيقَ والشِّدَّةَ، فَفَزِعَ إلى محمّدِ بنِ عبدِ اللّهِ بنِ طاهرٍ مُستَغيثاً، ومدحَهُ بقصيدةٍ سألَهُ فيما سألَهُ فيها أنْ يُكَلِّمَ الخليفةَ في شأْنِه، وجَوّدَ هذا المسألةَ في أمرِه وتَحدَّى الوزيرَ عُبيدَ الله بنَ يحيى (وبذَلَ أَن يَحتمِلَ في مالِهِ كُلَّ ما يُطالَبُ بِهِ فأعفاهُ المتوكّلُ من ذلكَ ووهبَهُ له)[2].

وإذا كانَ الحَبْسُ قدْ أَضَرَّ بجسمِ ابنِ المدبّرِ ونفسِه وعَملِه فإنَّهُ عادَ على الأَدبِ بِنماذجَ جيّدةٍ من شِعْرِ السُّجونِ، وفي هذا يقولُ أبو الفَرَجِ: (ولإبراهيمَ في حَبسِهِ أَشعارٌ كَثيرةٌ حِسانٌ مُختارةٌ)[3].

ويَبدُر أَنَّ بعضَ مُناوئي إبراهيمَ كانوا في أَيّامِ نَكبتِهِ يَسْعَوْنَ عليه. جاء في الأغاني أَنَّ عيسى بنَ إبراهيمَ النَّصرانيَّ المُكَنَّى أبا الخيرِ[4]، كاتبَ

---

(١) ينظر: الأغاني ١٦٢/٢٢.

(٢) نفسه ١٦١/٢٢، وينظر: الفرج بعد الشدّة ١٢٤/٢، وفيه: أن سبب خلاصه غيرُ ما ذكره أبو الفرج، وينظر: الشعر الرقم (١٢).

(٣) الأغاني ١٥٩/٢٢.

(٤) كذا في الأغاني، ولعله أبو نوح عيسى بنُ إبراهيمَ، كاتبُ الفتح بن خاقانَ، الذي قَبَضَ عليه صالحُ بنُ وصيفٍ مع أحمدَ بن إسرائيلَ والحسنِ بنِ مُخلَّدٍ في آخر عهد المعتز في أوائل جمادى سنة ٢٥٥ هـ للمطالبة بمال يدفع منه للأتراك، ثم أمر صالحٌ في يوم الخميس لثلاث بقين من رمضان في تلك السنة وذلك في عهد المهتدي بضرب أحمد بن إسرائيلَ وأبي نوحٍ بالسياط، فَضُربا حتى ماتا في اليوم نفسه، (ينظر: ديوان البحتري ٢٣/١ الحاشية) ولعل أبا نوحٍ هذا قد انتقل من كتابة الفتح بعدَ مصرعه في سنة ٢٤٧ إلى سعيد بن صالح.

سعيدٍ بن صالَحٍ[1]، (كان) يَسْعَى على إبراهيم بنِ المدبّرِ في أيَّامِ نكبتِهِ فلمَّا زالتْ، وماتَ سعيدٌ نُكِبَ عِيسى بنُ إبراهيمَ وحُبِسَ ونُهِبَتْ دارُهُ فقالَ فيهِ إبراهيم. . .)[2]، كما أنَّ بعضَ من كانَ يُصفيهِ الوُدَّ قد تَقاعَسَ عن إعانتِهِ والأَخْذِ بيدِه في نَكبتِهِ، فقدْ رُوِيَ عن إبراهيمَ أنَّه كانَ يقولُ: (نُكِبْنا نَكْبَةً مِن نَكَباتِنا، فسقط مِن إخوانِنا مَن كُنا نَجعَلُ من أهلِ الوُدِّ، فكتبتُ إلى بعضهم:

وصَديقٍ تَراهُ حُلْواً أَنِيقَا ... مُؤْنِساً مُلْطِفاً حَفِيّاً شَفِيقَا
ثُمَّ لَمَّا رَمانيَ الدَّهْرُ بالغِلْـ ... ـظةِ مِنهُ صارَ البَعيدَ السَّحِيقَا)[3]

غيرَ أنَّ بعضاً آخرَ قد أَسِفَ لِمَا أَصابَ بني المُدبّرِ من مِحْنةٍ، وفَرِحَ لَمَّا رَدَفْتهُم نعمةٌ فكتبَ إلى الأَخوين كتاباً بهذا المعنى[4].

ويظهر أن إبراهيمَ اتّخذَ بغدادَ دَارَ إقامةٍ في أيَّامِ نكبتِهِ، أو بعدَها مباشرة على الأَصحّ[5].

ولا نَعرِفُ على وَجْهِ الدِّقَّةِ المدَّةَ التي قَضاها بدونِ عَملٍ بعدَ إطلاقِ سَراحِهِ وخروجِهِ من الحَبْسِ، ولكنَّ أبا الفَرَجِ أشارَ إلى أنَّ (جَعْفرَ بنَ قُدامةَ قال:

وَلِيَ إبراهيمُ بنُ المُدبّرِ بِعَقِبِ نكبتِهِ وزَوالِها عنهُ الثُّغُورَ الجَزَريَّةَ،

---

(١) لعلّه سعيدُ بنُ صالحٍ الحاجبَ، اشتهرَ أمرُه منذ عهد المتوكل، وقد عُهِدَ إليه أمرُ المستعين بعد خلعه وقدومه إلى سامراء فذبحه في القاطول، وفي سنة ٢٥٦ أُرسِلَ إلى البصرة من قبل الخليفة لحرب صاحب الزنج (عن شعر ابن المعتز القسم الأول ٥٣٤/١).

(٢) الأغاني ١٧٥/٢٢.

(٣) إعتاب الكتاب ١٦٢.

(٤) ينظر: أدب الكتّاب ١٥٣.

(٥) ينظر: الأغاني ١٨٢/٢٢.

فكان أكثرُ مُقامهِ بِمَنْبِجَ...)[1]. وذكرَ الصُّولي خبرينِ في كتابه (أخبار البُحتريّ) أحدُهما:

أنَّ (أملَ) جاريةَ الفتحِ بنِ خاقانَ كانتْ تُنازِعُ البُحتريَّ في ضِياعٍ أُقطِعَها من ضِياعِ الفتحِ، فَصارتْ إلى إبراهيمَ بنِ المُدبِّر، وهو يلي النَّاحيةَ، فَخافَ أنْ يُعينَها عليهِ، فكتبَ إليه...)[2].

وثانيهما: أنَّ البحتريَّ كانَ يُلزمُ إبراهيمَ بنَ المدَبِّر في كلِّ سنةٍ أن يسقط أكثرَ خَراجِهِ أو يؤدّيَهُ عنه، فأرادَ شِراءَ ضَيْعةٍ، واستَماحَ إبراهيمَ، فَلامَهُ لِكَثْرةِ ضِياعِه، وقالَ: تكفِيكَ ضِياعُكَ فقد كَثُرتْ وعظُمَتْ، فأنشده... إلى أنْ بلغَ إلى قوله... فأمرَ له بإتمامِ ماله)[3].

وأرَّخَ مُحقّقُ ديوانِ البُحتريّ القصيدتين في سنة ٢٥٧ هـ[4]، وأكبرُ الظّنِّ أنَّ إقطاعاتِ البُحتريّ كانتْ في بلادِ الشّامِ، ولعلَّها في مدينتهِ (مَنْبِجَ)، أو بالقُرْبِ منها.

وفي أخبارِ البُحتريّ عن عَبدِ اللّهِ بنِ المعتزِّ قال: (كانَ المُعتزُّ قدْ أقطعَني إقْطاعاً، وجاورَني في بعضِهِ البُحتريُّ، فَسألَني أنْ أهبَ له الضَّيْعةَ التي تُجاوِرُهُ، فوَعدتُهُ، فَتحمَّلَ عليَّ بأبي، وعَمِلَ في ذلكَ أشْعاراً... فقال لي: يا عبدَ اللّهِ، اقضِ حاجةَ البُحتريّ، فوَهبْتُ له الضَّيْعةَ، فأنشأ البُحتريُّ قصيدةً في مدحِ المعتزِّ أشارَ فيها إلى مكانِ الضَّيعةِ في قوله:

وجَاورَ رَبْعي بالشَّآمِ رِباعَهُ ... ولَيسَ الغِنَى إلَّا مُجاوَرَةُ البَحْرِ[5]

وأرّخَ محقّقُ الدّيوانِ القصيدةَ في سنة ٢٥٣ هـ.

---

(١) الأغاني ٢٢/١٧٦، تشمل الثغور الجزرية: أنطاكية ومرعش.
(٢) ١١٨.
(٣) ١١٩.
(٤) ينظر: ديوان البحتري ٤٢٦، ١٦٤٤ الحاشية.
(٥) ديوان البحتري: ١٠٠٧.

وواضحٌ مِن قولِ أبي الفرجِ أنَّ ابنَ المُدبِّرِ وَلِيَ الثُّغورَ الجَزَريَّةَ بِعَقِب نكبتِهِ وزَوالِها، وأنَّ الّذي أمرَ بإخراجِهِ من الحَبْسِ هو المُتوكّلُ، ونحنُ لا نَعرِفُ المدَّة التي قضاها في الحبس، ولكنَّهُ أُطلِقَ قبلَ مَقْتَلِ المتوكّلِ في سنة ٢٤٧ هـ.

ومعلومٌ أنَّ المعتزَّ مَكَثَ في الخِلافةِ من سنة ٢٥٢ هـ - إلى ٢٥٥ هـ[١]، وواضحٌ كذلك في الخبرِ الأوّل الذي ذكَرَه الصُّولي أنَّ إقطاعَ الفتحِ الذي صارَ إلى إحدَى جواريهِ كانَ بعدَ مَقتلِه مَعَ المتوكّل في سنة ٢٤٧ هـ، وقد لا يَبعدُ أنْ يكونَ الخبرُ الثاني كذلكَ حدَثَ لِلبحتريّ بعدَ مَقتلِ المتوكّل والفتحِ؟.

وواضحٌ أنَّ تأريخ القصيدتين اللّتين جاءَ خبراهما في أخبارِ البحتريّ في سنةَ ٢٥٧ هـ، لا يقومُ على سَنَدٍ قَويٍّ؛ لأنَّ ابنَ المُدبِّرِ في سنة ٢٥٧ هـ رجَعَ هارِباً من البَصرةِ عندَ اجتياحِ الزَّنجِ لها[٢]، وليسَ هناكَ دَليلٌ على أنَّ الرَّجلَ استَمرَّ في وِلايتِه الثُّغورَ الجَزريَّةَ بِعَقبِ زَوالِ نكبتِهِ إلى سنة ٢٥٧ هـ؛ لأنَّ وِلايتَهُ البصرةَ تَنقضُ هذا وتُفنِّدُه.

وفي أخبارِه أنَّه وَلِيَ البصرةَ، ثُمَّ عُزِلَ عنها،ولكنْ متَى وَلِيَها؟ وما العملُ الذي عُهِدَ إليهِ في هذه الولاية؟ ومتَى عُزِل عنها؟.

ذكَرَ ابنُ الأبّارِ في أعقابِ حديثِهِ عن حَبسِهِ في عهدِ المتوكّلِ وخلاصِهِ منه قائلاً:

وَوَلِيَ إبراهيمُ بعدَ ذلك البصرةَ والأهوازَ، وأسَرَهُ صاحبُ الزَّنجِ فهربَ منه[٣]. وجاءَ في الأغاني عن أبي الفيّاض سَوَّارِ بنِ أبي شُراعةَ قولُه: (كانَ إبراهيمُ بنُ المُدبّرِ يَتولَّى البَصرةَ، وكانَ مُحْسناً إلى أهْلِ البَلدِ إحساناً

(١) ينظر: البحتري في سامراء بعد عصر المتوكل ٤٩ - ٦٠.
(٢) ينظر: الطبرّي: حوادث ٢٥٦، ٢٥٧ هـ.
(٣) إعتاب الكتّاب ١٦٢.

يَعمُّهُم، ويَشْتَمِلُ على جَماعتِهم نفعُهُ، ويَخصُّنا من ذلكَ بأوفرِ حَظٍّ وأجزَلِ نَصيبٍ، فلمَّا صُرِفَ عنِ البَصرةِ شَيَّعهُ أَهلُها، وتَفجّعُوا لِفراقِهِ وساءَهُم صَرْفُهُ، فجعَلَ يَردُّ النَّاسَ من تَشييعِهم على قَدْرِ مَراتبِهم في الأُنْسِ به، حتَّى لمْ يَبقَ معَهُ إلاَّ أَبي، فقالَ لهُ: يا أَبا شُراعةَ، إنَّ المُشيِّعَ مُودِّعٌ لا مَحالةَ، وقد بلغْتَ أَقصَى الغاياتِ، فَبحقي عليكَ إلاَّ انصرفتَ... فودّعَهُ أبي، ثُمَّ قالَ:

يـا أَبا إسحـاقَ سِرْ في دَعَـةٍ وامضِ مَصحوباً فَما مِنكَ خَلَفْ

...)[1].

وصَرْفُ الرَّجلِ مِن عملِهِ أو عَزْلُه عنه جَعلَ غيرَ واحدٍ من الشعراءِ يأسف له، ويَتحسّرُ على ما أصابه[2]، بل ذهبَ بعضهُم إلى تَهنئتِهِ بهذا العَزْل؛ لِأنَّه بعدَه أَعلَى وأفضلُ:

لِيَهْنِئْ أَبا إسحاقَ أَسبابُ نِعمةٍ مُجدَّدَةٍ بالعَزْلِ، والعَزْلُ أَنبَلُ
شَهِدْتُ لقدْ مَنُّوا عليكَ وأَحسَنُوا لِأَنَّكَ بَعدَ العَزْلِ أَعلَى وأَفضلُ[3]

وذكَرَ الطَّبري في حوادث ٢٥٦ هـ فقال:

(حتّى وافَوْا (أي الزّنج) الأَهوازَ، وبها يومَئِذٍ سعيدُ بنُ يكْسِينَ والٍ وإليهِ حَربُها، وإبراهيمُ بنُ محمّدِ بنِ المُدبّرِ، وإليهِ الخَراجُ والضِّياعُ، فَهرَبَ النّاسُ مِنهمْ أيضاً فلم يُقاتلْهُم كثيرُ أَحدٍ... وثَبَتَ إبراهيمُ بنُ المدبّرِ فِيمن

---

(١) ٢٢/١٨٠، وينظر المصدر نفسه ٢٣/٢٣ ـ ٢٤.

(٢) ينظر: الفاضل في صفة الأدب الكامل ١٢٧، والفرج بعد الشدّة ٥/٥٧، وديوان المعاني ٢/٢٣٢، والبصائر والذخائر ١/٣٨٨، والمستطرف ١/٢٣٥.

(٣) نهاية الأرب ٥/١٣٩، والوافي بالوفيات ٦/٧٧، وينظر: المستطرف ٢/٦٨ ـ ٦٩ جاء في الوافي: (وكتب ـ أي إبراهيم بن عيسى ـ إلى إبراهيم بن المدبر، وقد انتزع إسماعيل بن بلبل من يده عملاً كان معه).

كانَ معَهُ مِن غِلمانِه وخَدَمِه، فدَخلوا المَدينةَ، فآحتَوْوها وأَسَروا إبراهيمَ بنَ المُدبِّر، بعدَ أنْ ضُرِبَ ضَربةً على وجهِهِ وحَوَوْا كلَّ ما كانَ يَملكُ من مالٍ وأَثاثٍ ورَقيقٍ وذلكَ يومَ الإثنينِ لاثنتي عَشرَةَ ليلةً خَلَتْ من شَهرِ رَمَضانَ سنةَ سِتٍ وخمسينَ ومائتين)[1].

وذَكرَ في حوادثِ ٢٥٧ هـ تَخلُّصَ إبراهيمَ من الحَبْسِ ومعَهُ آبنُ أَخٍ لهُ يُعْرَفُ بأَبي غالبٍ، ورجلٌ من بَني هاشمٍ[2].

يَتّضحُ ممَّا تَقدَّمَ أَنَّ ما أَشارَ إليهِ آبنُ الأَبّارِ من أنَّ إبراهيم تَولَّى البصرةَ بِعَقِبِ تَخلُّصِه من نَكبتِه في عهدِ المتوكل، غيرُ صَحيحٍ؛ وذلك لأَنَّه وَليَ ـ كما تَقَدَّمَ ـ الثُّغورَ الجَزَريَّةَ.

كَما أنَّ المدَّةَ التي قَضاها في ولايةِ البصرةِ غَيرُ واضحةٍ كذلك، فهلْ بَقيَ والياً عَليها وعلى الأَهوازِ إلى أَنْ أَسَرَهُ الزَّنج؟ أو أنَّه شَغَلَ هذهِ الولايةَ مَرتين؟ فما ذكَرَهُ أَبو الفَرجِ عن أَحدِ مُقرّبي ابنِ المُدبِّرِ في البصرةِ من تشييعِ أهلِ البصرةِ له ـ عندَ عَزْلِهِ ـ لا يُمكنُ أَنْ يَنسَجِمَ مَعَ الحالِ التي كانوا عَليها عندَ اجتياحِ الزَّنجِ لها واحتوائِها مِن قِبَلِهم، فمِن غيرِ المعقولِ أَنْ يَخرجَ أَهلُ البصرةِ ـ وهُمْ في قَبْضةِ الزَّنجِ ـ في تَشييعِ الرَّجلِ؛ لأَنَّ الحالَ تَستَدْعي أَن يكونَ هناكَ أَمْنٌ واستقرارٌ وهدوءٌ، وهذِه كلُّها غيرُ مُتوفِّرةٍ في ذلك الوقتِ!.

لقد كانَ مَوقفُ ابنِ المُدبِّرِ وصُمودُهُ الرَّائعِ أَمامَ الزَّنج نَمُوذجاً حَيّاً لِرجلِ المسؤوليّةِ؛ ولهذا اتّخذَ الأُدباء من هـذا المَوقفِ المسؤولِ ومن الضَّربةِ في وجهِهِ منطلقاً للإشادة بالرّجلِ والثّناءِ عليه[3]. كما اتّخذَ بعضُ

---

(١) ٤٧٢/٩.

(٢) ينظر: تاريخ الطبري ٤٧٧/٩، والكامل ٢٤٢/٧.

(٣) ينظر: ديوان البحتري ٢٨٩، ١٦٩٣، ١٦٩٤، وأخبار البحتري ١١٣ ـ ١١٤، وديوان ابن الرومي ١٩٧١.

آخرُ مِنهما مُنطَلقاً لِلتنديدِ بهِ والحَطِّ منهُ[1].

وأجملَ الصَّفَدِي بعضَ ما شَغلَه هذا الرَّجلُ بعدَ صَرْفِه من البصرة، فقال: (ولم يَزلْ في رُتبةِ الوزراءِ وأُحضِرَ في سنةِ ثلاثٍ وستينَ لِلوزارةِ فآستَعْفَى لِعُظْمِ المُطالبةِ[2]، فآسْتَكْتَبَهُ المُعتمِدُ لِابنِه المُفوَّضِ وضَمَّ إليه دواوينَ، ثُمَّ إنَّ المعتمد دَفعَ إلى إبراهيمَ ثلاثمائةِ ألفِ دينارٍ وخلعَ عليهِ بتَكْريتَ وقالَ لِقوَّادِه مِمنْ معَه: ما آستوزرْتُ بعدَ عُبيدِ اللّهِ بنِ يَحيى وَزيراً أرضاهُ غيرَ الحسنِ بنِ مُخَلَّدٍ وإبراهيمَ في هذا الوقتِ، وخرَجَ إلى المَوْصِلِ لِيلتقيَ جيشَ آبنِ طُولون[3]، ثُمَّ إنَّ إسحاقَ بنَ كُنْداجَ مُتولّيَ المَوْصِلِ وديارَ رَبيعةَ قَبضَ على القوَّادِ بحيلةٍ دَبَّرَها وأرادَ القَبضَ على إبراهيمَ فحَذَرَهُ إلى بغدادَ وحبسَه إلى أنْ رَضِيَ المُوفَّقُ عنهُ وهو بواسطَ وخلَعَ عليهِ)[4].

والجَديرُ بالذكرِ أنَّ في ديوانِ آبنِ الرُّوميِّ قصيدةً جاءَ عُنوانُها على هذا النحو: (وقالَ لابنِ المُدبِّر لمَّا قُلِّدَ مِصرَ، وقد كانَ منه على مَواعيد).

وأكبرُ الظّنِّ أنَّ ابنَ الرُّوميِّ قد أيَّدَ استِيزارَ ابنِ المُدبّر في سنة ٢٦٩ هـ وهي السَّنةُ الّتي عَزَمَ فيها المُعتمِدُ على الهَربِ إلى مِصرَ، وحَسِبَ أنَّ الأمرَ سَيتمُّ، فقالَ قصيدتَهُ، وفيها إشاراتٌ إلى ذلك منها قولُه:

وَطِئتَ أبا إسحاقَ أثبتَ وَطأةٍ وأثقلَها ثِقْلاً علَى رَغْمِ رَاغِمِ

---

(١) ينظر: ديوان ابن الرومي ٨١٣، وزهر الآداب ٢٩٦ ـ ٢٩٧.

(٢) جاء في اللطائف والظرائف ١٤، (وكان إبراهيم بن المدبّر إذا عُرضت عليه الوزارة أنشد قول العتابيّ:

تَلومُ على تَـرْكِ الغِنىٰ بـاهِليَّـةٌ نَفَى الـدَّهـرُ عنها كـلَّ طِـرْفٍ وتَـالـدِ

...).

(٣) كان هذا في سنة ٢٦٩، (الأعلام ٥٦/١).

(٤) الوافي بالوفيات ١٠٧/٦، وينظر: إعتاب الكتّاب ١٦٢، ومعجم الأدباء ٢٢٦/١، ومختصر التاريخ ١٦٣.

وهُنِّئتَ ما أُعطيتَه مِن كَرامةٍ ... وهُنِّئكَ المِعْطاكَ بَاني المَكارمِ
سَبقْتَ بهِ الكُتَّابَ عَفْواً كَسَبْقِه ... بلِ السَّادةَ الأَملاكَ مِن آلِ هاشمِ
وأصبحتُما مُستَبْشِرَيْنِ كِلاكما ... بصاحبِهِ قَدْ فازَ فَوزةَ غانمِ
. . . . . .
أَمَا والهَدايا الدَّامياتِ نُحورُها ... ضُحَىً والمَطايا الدَّامياتِ المَناسمِ
لقدْ أَيَّدتْ منكَ الخِلافةُ طَودَها ... بِرُكْنٍ وَثيقٍ غَيرِ واهي الدَّعَائمِ
كأَنِّي بِمِصرٍ قد تجلَّيت طالعاً ... عَليها بِوَجهٍ مُسْفِرٍ غَيرِ قَاتمِ [1]

ويظهرُ أنَّ آخِرَ عملٍ له كان على دِيوانِ الضِّياعِ، قالَ المَرزبانيُّ: (لمَّا قَلَّدَ عُبيدُ اللّهِ بنُ سليمانَ عندَ تقلُّدِه الوزارةَ إبراهيمَ بنَ المُدبّرِ دِيوانَ الضِّياعِ ببغدادَ، وذلكَ في سنة ثمانٍ وسبعينَ ومائتينِ، فَنَقصَ إبراهيمُ كُتّابَ الدَّواوينِ من أرزاقِهم، وتُوفّيَ إبراهيمُ في عَقِب ذلك فقال محمّدٌ الماسِحُ. . .)[2]. وممّا يُؤيّد هذا الخبرُ الذي رواه الحُصريُّ والذي جاءَ فيه:

(ودَخلَ (أبو العيناء) إلى عُبيدِ اللّهِ بنِ سليمانَ، فَشكا إليهِ حالَه، فقال: أَليسَ قد كَتبْنا لكَ إلى إبراهيمَ بنِ المدبّر؟ فقال: كتبْتَ إلى رجلٍ قد قَصَّرَ من هَمّتِهِ طولُ الفَقْرِ، وذُلُّ الأَسْرِ، ومُعَاناةُ الدَّهرِ، فأخفقْتُه في طَلَبتي)[3].

---

(١) ديوان ابن الرومي ٢٤٠٣ - ٢٤٠٤.

(٢) معجم الشعراء ٤٠٩، وينظر: معجم الأدباء ١/٢٢٧. مما ينبغي ذكره أن بروكلمان أشار في ترجمة إبراهيم أنه كان والياً على خراج فلسطين للمهتدي بالله (تاريخ الأدب العربي ١١:٧٢)، والصحيح أن الذي ولي ذلك أحمد بن المدبر (مروج الذهب ٤/١٠٠).

(٣) زهر الآداب ١/٢٩٦.

هذه الأعمالُ التي تَقلَّبَ فيها ابنُ المُدبّـر هي التي حَملتْ بعضَ مُترجمِيهِ على القولِ فيه:

(من وجوهِ كتّابِ أَهْلِ العِراقِ ومُتقدِّميهم وذَوِي الجَاهِ والمتصرّفينَ في كِبارِ الأعمالِ ومذكورِ الولاياتِ)[1].

إنَّ حياةَ الرَّجلِ ـ كما تقدَّمَ ـ لم تكنْ على نَمَطٍ واحدٍ وإنَّما كان يَعْتَورُها ما يَعْتورُ حياةَ أيِّ رجلٍ طَموحٍ ذي هِمَّةٍ في ظروفٍ مختلفةٍ مُتقلبةٍ، ومن غير شكٍّ في أنَّه قد تَمتّعَ بالحياة تمتّعاً يتناسب ومركزَه الاجتماعيَ والسّياسيَّ والأدبيَّ.

لقد كان الميلُ إلى الأدبِ وأهلِه جانباً من مُتَعِ الرّجلِ، ومن أجلِ ذلك كَثُرَ المتّصلونَ به من الشّعراءِ والأُدباءِ، كما كَثُرتْ أخبارُه مَعَهم كَثْرةً تَلفتُ النظرَ، وكانت دارُه مَأْلَفاً لَهُمْ ومُنتدىً يجتمعونَ فيه، وقد رُوِيَ عن الأخفش قولُه:

(استهدَى إبراهيمُ بن المدبّر المُبرِّدَ جليساً يَجمعُ إلى تأديب وَلَدِهِ الإمتاعَ بإيناسه فَندبني لذلك...)[2]. ويظهرُ أنَّ إلحاحَ الشّعراءِ وطَمَعَهم في الحصولِ علَى الجوائزِ قد حَمَلا ابنَ المُدبّر على اتّخاذِ حاجبٍ له صَعْبٍ، لا يُسهّلُ الدخولَ إليهِ في كلِّ وقتٍ، ولهذا شَكا غيرُ واحدٍ من الشعراء هذا الحاجبَ بلْ هَجَوْه وأكثروا من هجائِه[3]. كما كان يَستمتعُ بالغناء، ويأنسُ بالنُّدماءِ، ويَشْغَفُ بالجواري، ويَعقدُ مَجالسَ الأُنْسِ والشَّرابِ في داره على الشاطىء في (المَطِيرَةِ)[4]، وهي «قريةٌ من نواحي

---

(١) الأغاني ٢٢/١٥٧، وينظر: معجم الأدباء ١/٢٢٧.

(٢) البصائر والذخائر ٣/٤٩٦، وينظر: قطب السرور ٢٩٦.

(٣) ينظر: رسائل الجاحظ ٢/٣٧، وديوان البحتري ١٠٦٦، ٢٣١٧، ومعجم الأدباء ١/٢٢٩، ٣/٤، والوافي بالوفيات ٦/١٠٩.

(٤) ينظر: الأغاني ٢٢/١٦٥.

(سامراءَ) كانت في مُتنزَّهاتِ بغدادَ وسامراء»[1]. فكانَ من مُغنيهِ المفضّلينَ أبو العُبَيْس بنُ حمدونَ الذي كانَ يَحضرُ مجالسَ أُنسهِ، فيستمعُ إلى غِنائهِ ويُنادمُه، وبلَغَ حبُّه لِغنائهِ أنَّه كانَ يَتراءَى له ذلكَ في منامه[2].

كما كانَ يَستَمتعُ بِغناءِ تُحفةَ وبِدْعةَ وكُراعةَ ونَبْتٍ وسواهنَّ من الجواري المغنياتِ، فكانَ يُطلقُ نفسَه على سَجيّتها، أو قُلْ كانَ يَلبُس لِباساً آخرَ غيرَ الذي كانَ يَلبسُه في حال الجِدِّ والوَقارِ، فيُقبلُ عليهنَّ بنَظره ومَزْحهِ وتَجميشهِ، وكثيراً ما تَفتُقُ تلكَ المجالسُ الغنائيةُ قريحتَهُ الشّعريّةَ فَيُسَجِّلُ ما يَحدثُ له ولأَصحابه فيها من أمورٍ[3].

ومع كلِّ ذلك فقد كان حبُّه لِكُبرى مُغنيّات ذلك العصر ـ وهي عَريبُ ـ يَفوقُ حبَّ كلِّ من اتّصلَ بهنَّ من المغنياتِ، كما أنَّ أخبارَه معَها تفوقُ أخبار سِواها، وهذا ما جعلَ أبا الفرجِ يقولُ في مقدّمةِ تَرجمةِ إبراهيمَ: (وكانتْ بينَه وبينَ عَريبَ حالٌ مشهورةٌ كانَ يَهواها، وتَهواهُ، ولهما في ذلكَ أَخبارٌ كثيرة، قد ذكرتُ بَعْضَها في أَخبارِ عَريبَ، وأَذكرُ باقيَها ها هنا)[4].

وَصِلةُ ابنِ المُدبّر بِعَريبَ قديمةٌ تَرجِعُ إلى حداثتهِ، فقد تقدَّمَ أنّه خرجَ مع جيشِ المأمونِ إلى بلادِ الرُّومِ وهو حَدَثٌ، وراهنَ بعضَ لِداتهِ أن يُنشدَ شعرَ بعضهِم في عَريبَ التي كانتْ تُرافقُ الجيشَ، والتي فَطِنتْ

---

(١) سامراء في أدب القرن الثالث الهجري ٢٣.

(٢) ينظر: الأغاني ٢٢/١٦٤، ١٦٥، ١٦٦، ١٨٤.

(٣) ينظر: المصدر نفسه ٢٢/١٦٢، ١٦٤، ١٨٤.

(٤) الأغاني ٢٢/١٥٧. عَريبُ: (هي عَريبُ المأمونيةُ ولدت سنة ١٨١ هـ وهي شاعرة، مغنيةٌ، أديبة، من أعلام العارفاتِ بصَنعة الغناء والضرب على العود، قيل: هي بنت جعفر بن يحيى البرمكي، نشأت في بغداد، وأُعجب بها المأمون فقرّبها حتى نسبت إليه، ماتت بسامراء سنة ٢٧٧ هـ، (عن الأعلام ٥/١٩).

إلى أنَّ السببَ في هذا الإنشادِ هو الرِّهانُ، ومَنْ يَدري فلَعلَّ تلكَ الحادثةَ هي البَدْءُ في العَلاقة بينهما.

إنَّ أخبارَهما تُصوِّرُ ما كانَ بينهما من عَلاقةِ حبٍّ طاغيةٍ، وما جَرَى لهما من الصَّفاءِ والهَناءِ، كما تَعكسُ ما كانَ يَنتابُ تلكَ العَلاقةَ من حالات الفُتورِ والجَفاءِ. لقد كانَ يَرتاحَ إلى عَريبَ، ويأنسُ بمجالِسها، ويلذُّ غناءَها، ويَتفقَّدُ أحوالَها، ويُسبغ عليها من الهَدايا والهباتِ الشيءَ الكثيرَ. ولم تكنْ هي بأقلَّ عنايةً منه، وتفقُّداً لأُمورِهِ، حتَّى قيلَ إنَّه كانَ في إصبَعِ إبراهيمَ خاتَمانِ وهبْتهما له، وكانا مَشهورينِ لها[1].

لقد كانَ يُظهرُ من الاحتفاءِ بمَقدمِها ما لا مَزيدَ عليه، حتَّى كانَ يَخرجُ إليها حافياً، ويُقبِّلُ الأرضَ بينَ يَديها[2].

لقد حَفِظ لنا الأغاني نماذجَ من رسائلها إليه، كما حفِظَ لنا نماذجَ من شعرِه فيها، ويبدو أنَّ العَلاقةَ بينَهماً استمرَّتْ أَمَداً طويلاً، ثُمَّ فَترتْ وربَّما انتهتْ بعدَ أنْ امتدَّ بهما الزَّمنُ إلى أرذلِ العُمُرِ، وضاقتْ الحالُ بالرَّجلِ، فقد رُوِيَ عنه قولُه:

(كنتُ أَتعشَّقُ عَريبَ دهراً طويلاً، وأنفقتُ عليها مالاً جليلاً. فلما قَصدَني الزَّمانُ، وتركْتُ التَّصرّفَ، ولَزِمتُ البيتَ، كانتْ هي أيضاً، قد أَسنَّتْ وتابتْ من الغناءِ، وزَمِنتْ)[3].

صفـاتُـــه:

لم نقفْ على شيءٍ يَتعلّقُ بصفاته الخَلْقية، لا في الأخبار الّتي رُويتْ عنه، ولا في مدائحِ الشعراءِ وأَهاجيهم له، ولكنْ جاءَ في الرِّسالة العَذراءِ

---

(١) ينظر: الأغاني ٢٢/١٦٤.

(٢) نفسه ٢٢/١٧٨.

(٣) نشوار المحاضرة ١/٢٧٠.

المنسوبةِ إليه في صفاتِ الكتّابِ المحمودةِ (لأنَّ الحكماءَ قد شَرطُوا في صِفات الكتّاب:

اعتدالَ القامةِ، وصِغرَ الهامةِ، وخِفَّةَ اللَّهازِم، وكَثافةَ اللِّحيةِ، وصِدْقَ الحِسِّ، ولُطْفَ المَذهبِ، وحلاوَةَ الشَّمائلِ، وخِفَّةَ الإشارةِ، ومَلاحةَ الزِّيِّ.. (و) أنْ يكونَ الكاتبُ بَهيَّ المَلْبَسِ، نظيفَ المجلسِ، ظاهرَ المُروءةِ عَطِرَ الرَّائحةِ، دَقيقَ الذِّهنِ، صادِقَ الحِسِّ، حَسَنَ البيانِ، رَقيقَ حَواشي اللِّسانِ، حُلْوَ الإشارةِ، مَليحَ الاستعارةِ، لَطيفَ المَسْلكِ، مُسْتَفْرَهَ المَرْكَبِ، ولا يكونُ مَعَ ذلك فَضْفاضَ الجُثَّةِ، مُتفاوِتَ الأَجزاءِ، طويلَ اللِّحيةِ، عظيمَ الهامةِ...)[1].

وأكبرُ الظّنِّ أنَّ الرّجلَ كان يَتحلّى بهذهِ الصّفاتِ أو أغلبها، ولو كانَ فيهِ شيءٌ مما يخالفُ ما في هذا النَّصِّ لنالَ منهُ من هجاهُ من الشّعراءِ وخاصةَ ابنَ الرُّوميِّ.

وفي أخبارِه إشاراتٌ إلى الصِّفاتِ الخُلُقيةِ التي جاءتْ في تَضاعيفِ هذا النّصِّ أيضاً.

فقد كانَ دَمِثَ الخُلُقِ، سَمْحَ الطَّبْعِ، حُلْوَ الشَّمائلِ، ومن أجلِ هذا كَثُرَ أخدانُه وأَصفياؤه، من فِئاتِ المجتمعِ المختلفة.

كما كانَ بارِعاً في عملِه، مُتقناً له، مَعروفاً بمرونتِهِ الإدارية وقدرتِهِ الإبداعيةِ ولهذا تقلَّبَ في جليلِ الأَعمالِ ومذكورِ الولاياتِ ـ كما تقدَّمَ ـ. وكان بعضُ الخلفاءِ قد أَثنى عليهِ وعلى قدرتِهِ في إدارةِ شُؤونِ الخلافة حينَ استوزرَه ـ كما سلفَ ـ.

---

(١) جمهرة رسائل العرب ٢٠٢/٤ ـ ٢٠٣، وينظر: مجلة الأستاذ العدد الثاني ١٩٧٨ ـ ١٩٧٩ ص ٥٤٧ ـ ٥٤٨. الهامة: الرأس. اللَّهزمتانِ: ناتئانِ تحت الأُذنين من أعلى اللحيين والخدّين. الفَارِهُ من الجيادِ: الجيّد السَّيْرِ، واستفرهَها: استكرمَها أي انتقاها كريمةً فارِهةً.

ولعلَّ براعتَه الإداريّةَ وحُسْنَ سِيرتِهِ بينَ النَّاسِ هي التي حَملتْ أَهلَ البصرةِ على الخروجِ لِتَشييعِهِ وتَوديعِهِ حينَ عُزِلَ عن مدينتهم ـ كما تقدَّمَ ـ. كما كانَ حَسَنَ الرِّعايةِ لِندمائِهِ وأَصدقائِهِ وحاشيتِهِ، يَعملُ على إرفادِهم بعَطاياه في حياتِهم، ويأخذُ بيدِ أُسَرهم بعدَ وفاتِهم، ولعلَّ فيما رُوِيَ من أَنَّ أَحدَ المُغنين ماتَ عندَه فحَملَه إلى بناتِه وما كسبَه فاقتسْمنَهُ بَينهنَّ[1]، دليلٌ على هذا.

وكانَ من سَجاحةِ خُلقِهِ عفوُهُ عمن ثلَبَه ونالَ منه بعدَ اقتداره عليه، من ذلك أَنَّ ابنَ الرُّوميِّ (قد أَخنىٰ عليه بالهجاءِ الفاحشِ فطلَبَه ابنُ المُدبِّرِ أَشَدَّ الطَّلَبِ، فلمَّا ظَفِرَ بِهِ وأَرادَ قتلَه أَنشأَ يَقولُ... فعَفا عنه وأَجازَه)[2].

وكانَ فيه مَيْلٌ إلى المَزْحِ والدُّعابةِ، وقد رُوِيتْ له أخبارٌ في هذا الشأن[3].

وتقدَّمَ أَنَّه كانَ مُحبّاً لِمجالسِ الأُنْسِ والشَّرابِ والغِناءِ، كما كانَ سَريعَ البديهةِ، صادقَ الحِسِّ، ولعلَّ في علاقاتِهِ مع رِجالِ العَصْرِ وأُدبائه، وفيما ذُكِرَ عنه من إتمامِ الإشاراتِ والتَّلميحاتِ دليلاً واضحاً على هذا[4].

ويظهر أَنَّه لم يكن يَحفلُ بالتَّنجيمِ والمُنجّمينَ، ومُماراتُه أَحدَ المُنجّمين في رُؤيةِ الهلالِ لشهرِ رمضانَ شَهيدٌ على ذلك[5].

وإذا كان الصُّمودُ أَمامَ الأَزماتِ الحادةِ، والمواقفِ الحَرجةِ دليلَ

---

(١) ينظر: الأغاني ٢٣/٧٦، وينظر: أخبار البحتري ١١٩، ونشوار المحاضرة ١/٢٧٠، حيث منحَ عَريبَ في آخر حياتها ضيعة زوجته المجاورة لضيعتها، وهو في حال ضيّق.

(٢) ديوان المعاني ١/٢٠٠.

(٣) ينظر: الهفوات النادرة ٢٥٩، ٢٦٩.

(٤) ينظر: الأغاني ٢٢/١٧٢، والأذكياء ٢٣٣.

(٥) ينظر: الأغاني ٢٣/٢٤.

الشّجاعةِ ورَباطةَ الجَأْشِ، فصُمودُه في البصرةِ أيّامَ اجتياحِ الزّنجِ لها ـ كما سلف ـ خيرُ بُرهانٍ على هذا.

ومعَ كلِّ ما كانَ يَتمتّعُ بهِ من هذه الصِّفاتِ، فإنَّ غيرَ واحدٍ من الشُّعراءِ أو الأدباءِ قد وَقفَ منهُ مَوقفَ المُنَدِّدِ له، الطّاعنِ عليهِ مَواقفَه مِنهم وتَلكُؤَهُ عن مساعدتِهم، وقعودَه ـ لسببٍ من الأسباب ـ عن الأخذِ بأيديهم، بعدَ أنْ كالُوا له المديحَ جُزافاً، وأطرَوْا خِلالَه، وأثنَوْا عليهِ، ولا نحسِبُ أنَّ مثلَ هذه المَطاعنِ يُمكنُ أنْ يُرْكنَ إليها، فتتخذَ مِعياراً يُعتمدُ عليه في تقويم الرجل[1]!.

ثَقافتُــه:

ليسَ في أخبارِه ما يُشيرُ إلى أوليّةِ ثقافتِه أو مُؤدّبيهِ الذين تَعهّدوه بالتّعليمِ والتّثقيفِ فأخذَ عَنهم وتأثّرَ بهم، فالأخبارُ عن أوليّةِ أسرته تكادُ تكونُ نَادرةً اللّهمَّ إذا استثنيْنا الخبرَ الذي رُوِيَ عن أخيهِ أحمدَ، الذي يُشيرُ إلى أنَّ والدَه قد دَفَعَ إلى أحد أصدقائِه خمسةَ آلافِ دِرْهَمٍ دونَ علْمِ ابنه الذي خرَجَ مع أحدِ رجالِ المأمونِ في خروجِ الأخيرِ إلى بلادِ الرُّومِ سنة ٢١٥ هـ ـ كما تقدَّمَ ـ، لِيَعرضَها عليهِ في حالِ اختلالِ حاله وحاجتِه إلى المال.

ومَعنَى هذا أنَّ والدَه كانَ مُيسَّرَ الحالِ، وإذا صَحَّ هذا ـ فأكبرُ الظّنِّ أنَّه تَعهَّدَ أولادَه ومنهم إبراهيمُ بالتّعليمِ والتّهذيب، ومَنْ يَدري فلعلَّهُ هَيَّأَ لهم من وسائلِ التثقيفِ ما يَتناسبُ وحالَه التي كانَ عليها.

ومما يَجدرُ ذكرُه أنَّ أقدمَ خَبرٍ عن إبراهيمَ ـ كما تقدَّمَ ـ هو خبرُ خروجِهِ إلى بلادِ الرُّومِ مَعَ عَسْكرِ المأمونِ أيضاً، ولعلَّه كان يُصاحِبُ أخاه أحمَد، فراهنَ أحَدَ لِداتِهِ أنْ يَمرَّ بالقربِ من جمّازةِ عَريبَ ويُنشدُ أبياتَ

---

(١) ينظر: مجلة الأستاذ عدد ١٩٧٨ ـ ١٩٧٩، ص ٥٤٨ ـ ٥٤٩.

عيسى بنِ زَينب فيها، ومَعنَى هذا أَنَّه كانَ يحفظُ جُملةً من الشّعرِ بلْ ومن الشّعرِ الخاصّ الذي قالَه شاعِرٌ مُعيّنٌ في امرأةٍ معيّنةٍ.

والمظنون أَنَّه تَلقَّفَ في طفولتهِ وصِباهُ العلومَ التي كان يَتلقّفُها أبناءُ العَصرِ، وأَنَّ الأَبَ كانَ يُريدُ أَنْ يكونَ أَبناؤُه كُتَّاباً، فدَفَعهم إلى مَن يُزوّدُهم بكلِّ ما يُؤهّلُهم إلى ذلك. ولعلَّ الخبرَ الذي تقدَّمَ عن ابنه أحمدَ في خروجهِ إلى بلادِ الرّوم والذي كانَ في أوّلِ عَهدِه بالكِتابةِ والذي جاءَ فيه: (كنتُ أَتقلَّدُ مَجلسَ الإِسْكِدار في ديوانِ الخَراج)، وما تَقلَّدَه أحمدُ هذا وأخوهُ إبراهيمُ بعدَ ذلك من الولايات والأَعمالِ الإِداريَّةِ، دليل واضح على هذا.

وإذا جازَ لنا ـ بعدَ تَعذُّرِ الوقوفِ على أوليّة الرّجلِ ـ أن نتَّخذَ مِمَّا جاءَ في الرِّسالة المنسوبةِ إلى إبراهيمَ، ما يَجبُ أَنْ يَأخذَ الكاتبُ به نفسَه من الثّقافةِ والتّحصيلِ، وممَّا استَشهَدَ بهِ ابنُ المُدبّرِ في تضاعيفِها من النُّصوص، وما ذكرَه من الأَسماءِ، وأَنْ نَستأنسَ بالأَخبارِ التي رواها أو رُويتْ عنهُ أيضاً، دليلاً على ثقافته وعلمه، فإننا نَستطيعُ أَنْ نَمضيَ في هذهِ السبيلِ، وأَنْ نَضعَ أيدينَا على مُختلفِ أَنواعِ ثقافته ومعارفه.

جاء في الرسالة العذراء:

«واعلَمْ أَنَّ الاكتسابَ بالتّعلُّم والتَّكلُّف، وطولِ الاختلافِ إلى العلماءِ، ومُدارَسةِ كُتبِ الحُكماءِ، فإنْ أَردتَ خوضَ بحارِ البَلاغةِ، وطلبتَ أدواتِ الفَصاحةِ، فتصَفَّحْ من رسائلِ المتقدِّمينَ ما تَعتمدُ عليهِ، ومن رسائلِ المتأخّرينَ ما تَرجِعَ إليهِ، في تلقيحِ ذِهنِكَ، واستِنجاحِ بلاغتِكَ، ومن نوادرِ كلامِ النَّاسِ ما تَستعينُ بهِ، ومن الأَشعارِ والأَخبارِ والسِّيَرِ والأَسمارِ مَا يتّسِعُ به منطِقُكَ، ويعذُبُ بهِ لسانُكَ، ويطولُ به قلمُكَ، وانظُرْ في كُتُبِ المقاماتِ والخُطَبِ، ومحاوراتِ العربِ... وحدود المنطق... بعدَ أَنْ تَتوسَّطَ في علمِ النحوِ والتّصريفِ واللّغةِ والوَثائقِ والسُّوَرِ والشُّروطِ

كَكتبِ السِّجلَّاتِ والأَماناتِ. . .)[1].

وقد ضمّنَ رسالته جملةً من النّصوصِ النّثرية والشّعريّة، وسمَّى أغلبَ أصحابها، إلى جانبِ تضمينِها الأحاديثَ النبويَّةَ، وسنجترِئُ بذكرِ الأَسماءِ التي وَردتْ في هذهِ الرِّسالةِ والتي تَمثَّلَ بنماذجَ من كلامِ أصحابها بِحسبِ تَسلْسُلِ ورودِهم فيها:

محمود الوراق ـ عَبد اللّه بن طاهر ـ محمّد بن عبد الملك الزَّيّات ـ كتب الرسول ﷺ إلى العلاء الحضرمي وأَقيال اليمن وكسرَى وقيصر ـ الإمام عليّ بن أَبي طالب ـ ابن عبَّاس ـ إبراهيم المزنيّ ـ لبيد ـ الحباب بن المنذر ـ أبو نواس ـ العتَّابيّ ـ الحسن بن وهب ـ العُتبيّ ـ أبو تمام ـ ابن قيس الرُّقيّات ـ أبو العتاهية وابن مناذر ـ الجاحظ ـ خالد بن صفوان ـ عيسى ابن لهيعة ـ مخلّد الموصليّ ـ أرسطاطاليس ـ هشام بن عبد الملك ـ علي بن عبدة ـ الأَعور التيميّ ـ عليّ بن الجهم ـ سهل بن بركة ـ عبد الرحمن بن كيسان ـ بشر بن خالد ـ عمر بن عبد العزيز ـ عمرو بن عبيد ـ الخليل بن أحمد.

أَمَّا الأَخبارُ التي رواها عمن اتّصلَ بهم من رجالِ العصرِ أو الأخبارُ التي رواها عنه من اتّصلَ به من الأدباءِ والشعراءِ والنقَّادِ، أو رُويتْ عنه دونَ ذكر اسم من أخذَها عنه مباشرةً، فكثيرةٌ.

ليسَ لَدينا ـ كما سبقَ القولُ ـ خبرٌ يُشير إلى مَن أخذَ عنهم في عهد صباهُ أو شبابِه، وإنما الأخبارُ التي رواها عمن اتَّصلَ بهم من رجالِ العصرِ كانتْ في جُملتها تدورُ في فَلَكِ القَرنِ الثالثِ الهجريّ، فقد روى عن عليّ ابنِ الجَهْمِ وإبراهيمَ الصُّولي، ودِعْبَلٍ وأحمدَ بنِ المُعتصمِ (المستعين)، وأَحمدَ بنِ عَمَّارٍ، أخباراً حول: عليّ بنِ الجهمِ، وإبراهيمَ الصُّوليّ،

(١) جمهرة رسائل العرب ٤/٢٠١.

ودِعْبلٍ والحارثيِّ[1]، وأبي نواسٍ، والحُسينِ بنِ الضّحّاكِ[2]، وشجاعٍ بنِ القاسمِ، كاتبِ أوتامشيَ[3].

وبعدَ أنْ قطعَ شَوطاً بعيداً في عَلاقاتِهِ بالمجتمعِ ورجالِهِ، وأصبحتْ له مكانة مَرموقةٌ اتَّصلَ بهِ غيرُ واحدٍ من رجال العصر ـ كما تقدَّمَ ـ، فأخذوا عنهُ ورَوَوْا أخباراً مُتنوّعةً كانَ يُتحفُهم بها، وعُرِفَ عن الرجلِ ميله إلى الأخبارِ حتّى نعَتهُ بعضهُم بالأخباري[4].

وأشارَ بعضهُم إلى مَن روَىٰ عنه فقال: (روَى عنه أبو الحسن الأخفشُ، وأبو بكرٍ الصُّوليُّ، وميمونُ بنُ هارونَ، وجعفرُ بنُ قُدامةَ الكاتبُ)[5].

والحقُّ أن هناكَ آخرينَ حدَّثوا عنه غيرَ هؤلاءِ، أمثال: محمّدِ بنِ القاسمِ بنِ مَهْرَوَيهِ، وابنِ المُعتزِّ، وعبدِ اللّهِ بنِ جعفرٍ الوكيلِ، وأحمدَ بنِ سعيدٍ، وعَمِّ أبي الفرجِ، وأحمدَ بنِ يزيدَ المُهَلَّبيِّ، وقد روَوْا عنه أخباراً حولَ:

مروانَ بنِ أبي حفصةَ ومسلمِ بنِ الوليدِ[6]، وأحمدَ بنِ يوسفَ وكاتبِهِ[7]، وعوفِ بنِ مُحلِّمٍ[8]، والحسينِ بنِ الضّحّاكِ وأبي نواسٍ[9]،

---

(١) ينظر: الأغاني ١٠/٢٦، ٢١٠ ـ ٢١١، ٢٢٠، ٢٠/١٨٣، وبدائع البدائه ١٧٦

(٢) ينظر: الأغاني ٧/٢٠٣.

(٣) ينظر: الهفوات النادرة ٢٦٩.

(٤) ينظر: المشتبه في أسماء الرجال ٥٨١.

(٥) الوافي بالوفيات ٦/١٠٧، وينظر: تاريخ بغداد ١٣/٢١٠.

(٦) ينظر: الأغاني ١٠/٩٣ ـ ٩٤.

(٧) ينظر: أخبار البحتري.

(٨) ينظر: الأغاني ١٢/٨٦.

(٩) ينظر: الأغاني ٧/١٥٥، ١٥٦، ٢٠٣.

وإبـراهيمَ الصُّـوليِّ ودِعْبَـلٍ[1]، وعليِّ بنِ الجهمِ[2]، ومـروانَ بنِ أبي الجنوبِ[3]، وعبدِ اللّه بنِ العبَّاسِ الرَّبيعي[4]، وسعيدِ بنِ حُمَيْدٍ وفضلٍ الشاعرةِ[5]، والخريميِّ[6]، والحسنِ بنِ وَهْبٍ[7].

كما روَوْا أخباراً تَتعلَّقُ بابنِ المُدبِّرِ نفسِه، كخروجِهِ إلى أرضِ الرُّومِ معَ عسكرِ المأمونِ وهو حدث[8]، وتعصُّبِهِ على أبي تمامٍ[9]، وعلاقته وأخيه أحمدَ بإبراهيمَ الصُّـوليِّ[10]، وإحدَى رسـائلِ الجـاحظِ إليه[11]، واستهداءِ مُؤدِّبٍ لولدهُ[12]، وأحد مجالسِه الأدبيَّةِ[13].

وهناكَ أخبارٌ أُخرَى حدَّث بها ابنُ المُدبِّر ولم يُشرْ إلى مَنْ رواها عنه مباشرةً، وهي أخبارٌ استقَاها من قِراءاتِهِ أو من علاقاتِهِ بأصحابها، وهي تتعلَّقُ بالرشيد وبعض حاشيته[14]، وإيتاخَ التّركيِّ[15]، وإعْذارِ المُعتزِّ[16]،

---

(١) ينظر: الأغاني ١٠/٤٦، ٢٠/١٨٣، وبدائع البدائه ١٧٦ ـ ١٧٧.
(٢) ينظر: الأغاني ١٠/٢١٠، ٢١١، ٢١٣، ٢٢٠.
(٣) ينظر: تاريخ الطبري ٩/٢٣٢.
(٤) ينظر: الأغاني ١٩/٢٣٠.
(٥) ينظر: الأغاني ١٩/٣٠٦.
(٦) ينظر: معاهد التنصيص ٤/٩٣ ـ ٩٤.
(٧) ينظر: الأغاني ٢٣/١٠٥.
(٨) ينظر: الأغاني ٢١/٦٤.
(٩) ينظر: أخبار أبي تمام ٩٧ ـ ٩٨.
(١٠) ينظر: الأغاني ١٠/٥٧.
(١١) ينظر: معجم الأدباء ١٦/٩٢ ـ ٩٣.
(١٢) ينظر: البصائر والذخائر ٣/٤٩٦، ومعجم الأدباء ١٣/٢٥٥.
(١٣) ينظر: أخبار البحتري ١٢٤ ـ ١٥٥.
(١٤) ينظر: الأذكياء ٩٦.
(١٥) ينظر: تاريخ الطبري حوادث ٢٣٥ هـ.
(١٦) ينظر: الديارات ١٥٤ ـ ١٥٥.

ومحمّدِ بنِ الفضلِ الجَرْجَرائيِّ[1]، وأحمدَ بنِ الخصيبِ[2]، ودِعْبِلٍ[3]، والبُحتُريِّ[4].

يَتّضحُ مما تقدَّمَ أنَّ ثقافةَ الرّجلِ كانت واسعةً وعميقةً، وأنَّه قد استمدَّ من المعارفِ والعلومِ القديمةِ ما قوَّمَ به نفسَه، كما ألقَى بثقلِه على الثَّقافةِ الحديثةِ فنالَ منها ما نالَ، ومن أجلِ هذا كانتْ معارفُه الحديثةُ هي الطاغيةُ على ثقافتِه، كما يتّضحُ أنَّ الجانبَ الأدبيَّ كانَ الغالبَ عليها أيضاً.

ولعلَّ البُحتريَّ لَمسَ فيه هذا فقال:

عِشْ لِلمروءَةِ والفُتوَّةِ والعُلا ومَحاسنِ الآدابِ والأَخلاقِ
حُفِظَ القَريضُ فَما يُضيَّعُ حقُّه أبداً، وأنتَ لهُ من العُشَّاقِ[5]

ولا شكَّ أنَّه بعدَ أنْ شدا من العلومِ والمعارفِ ـ ما جعلَه يُحسُّ بقدرتِه على النهوضِ والسَّيرِ في السَّبيلِ التي انتهجها لنفسه ـ مضَى قُدُماً في التَّزوّدِ والتَّحصيلِ، ولا شكَّ في أنَّ مركزَه الاجتماعيَّ والإداريَّ كان ممَّا ساعدَ على إغناء ثقافته وتنويعها أيضاً. ولعلّ المجالسَ الأدبيَّةَ ومجالسَ الأُنس التي كان يحضرها أو يعقدها كان لها الأَثَرَ الكبيرَ في تغذية هذه الثقافة وتلوينها؛ ذلك لأنَّها كانت مجالسَ تدور فيها كثير من المطارحات الأدبيّة والمحاورات الثَّقافية، ويحضرها العديد من رجالِ الأدبِ والفكرِ والفنِّ.

فمن تلكَ المجالسِ ما رُوِيَ عن ابن المدبّر نفسِه قال: (اجتمعَ يوماً

---

(١) ينظر: الهفوات النادرة ٢٥٩.
(٢) ينظر: جمع الجواهر ٢١٢، والهفوات النادرة ٢٦٤ ـ ٢٦٥.
(٣) ينظر: معاهد التنصيص ٢/١٩٣ ـ ١٩٤.
(٤) ينظر: أخبار البحتري ١١٣ ـ ١١٤.
(٥) ديوان البحتري ١٥٤٨.

عندِي الفضلُ اليزيديُّ والبحتريّ وأبو العيناءِ، فجلسَ الفضلُ يلقي على بعضِ الفتيانِ نحواً، فقال أبو العيناءِ: في أيِّ بابٍ هو من النحو؟، فقال: في بابِ الفاعل والمفعول به...)[1].

ومنها ما رُوِيَ من أنَّ عَريبَ زارتْ جماعةً في مجلسِ شَرابٍ فسألوها أن تُقيمَ عندَهم فأبتْ وقالتْ: (قد وعدتُ جماعةً من أهلِ الأدبِ والظَّرفِ أنْ أَصيرَ إليهم وهم في جزيرةِ المُؤَيِّدِ، منهم إبراهيمُ بنُ المدبّر وسعيدُ بنُ حُمَيْدٍ، ويحيى بنُ عيسى بنِ منارةَ...)[2].

ولعلَّ ممّا يندرجُ ضمن هذه المجالسِ ما كانَ يدورُ بينَ ابنِ المدبّر وبعضِ الأدباءِ، فقد رُوِيَ عنِ ابن المعتزِّ قولُه: (كانَ إبراهيمُ بنُ المدبّرِ يَتعصّبُ على أبي تمامٍ ويَحطُّه عن رتبتِه، فلاحاني فيه يوماً فقلت له: أتقولُ هذا لمن يقولُ... ولمن يقولُ... ولمن يقول... قال وأنشدتُه أيضاً غيرَ ذلكَ، فكأنّي ـ واللّهِ ـ ألقمتُه حجراً)[3].

وتقدمت الإشارة إلى أن مجلساً كانَ يضمُّه والجاحظَ في كلِّ ثلاثةِ أيّام، وأنَّه تأخّرَ مرَّة عن الحضورِ لشغلٍ عَرضَ له، فبعثَ إليه الجاحظ، رسالةً يتشوّقُه فيها، ويَتساءَلُ عن سببِ الغَيْبةِ.

وبعدَ أن استوَى الرّجلُ أديباً مُتمكّناً، وخالطَ كبارَ الأدباءِ والشعراءِ والنّقّادِ، أصبحتْ له آراءٌ في تذوّقِ الشعرِ وأحكامٌ في نقدِه ونقدِ أصحابِهِ والإحاطة بانتحالِ بعضه. فقد رُوِيَ عن بعضهم قوله:

---

(١) أخبار البحتري ١٢٤ ـ ١٢٦.

(٢) الأغاني ١٧٢/٢٢، وينظر المصدر نفسه ١٦٢/٢٢ ـ ١٦٣ للوقوف على مجلس آخر.

(٣) أخبار البحتري ٩٧ ـ ٩٨، وينظر: مروج الذهب ٤٨٣/٣ وفيه أن هذا حدث لابن المدبر مع محمد بن أبي الأزهر الذي قال: (كان إبراهيم بن المدبر ـ مع محله في العلم والأدب والمعرفة ـ يسيء الرأي في أبي تمام...) وتاريخ بغداد ٢٥٠/٨ ـ ٢٥١.

(أنشدت إبراهيمَ بنَ المدبّر قولَ حسينِ بنِ الضّحّاكِ:

كـأنّمـا نُصْبَ كـأسـهِ قمـر يَكرَعُ في بعضِ أنجمِ الفَلَكِ

. . . . .

فقالَ لي إبراهيمُ بنُ المدبّرِ: إنَّ الحسينَ يَزعمُ أنَّ أبا نواسٍ سَرقَ منه هذا المعنى حينَ يقولُ:

يُقبّلُ في داجٍ من اللّيلِ كَوكَبا

فإنْ كانَ سرَقَه منه فهو أحقُّ به؛ لأنّه قد برَّزَ عليهِ، وإنْ كانَ حسينٌ سرقَه منه فقد قصَّرَ عنه)[1].

كما رُوِيَ عن بعضٍ آخرَ قولُه:

(حدّثني إبراهيم بن المدبّرِ قالَ:

مَرِضَ عمرُو بنُ مَسعدَةَ، فدخلَ عليهِ مروانُ بنُ أبي حفصةَ وقد أبلَّ من مرضه فأنشأ يقول:

صَـحَّ الجسمُ يـا عمـرُو لـكَ التّمـحيصُ والأَجْـرُ
ولِـلّهِ عـلـيـنـا الـحَـمـ ـدُ والـمِـنّـةُ والـشُّـكْـرُ
فقـد كـانَ شكـا شَـوقـاً إلـيـكَ الـنّـهـيُ والأَمـرُ

قال: فنحا نحوَه مسلمُ بنُ الوليدِ فقالَ:

قالوا أبو الفضل مَحمومٌ فقلتُ لهم نَفسي الفِداءُ لهُ مِن كُلِّ مَحْذورِ
يـا ليتَ عِلّتَه بي غَيـرَ أنَّ لهُ أَجْرَ العَليلِ وأنّي غيرُ مأْجورِ)[2]

(١) الأغاني ٧/١٥٥ ـ ١٥٦.

(٢) نفسه ١٠/٩٣ ـ ٩٤، وينظر: شرح ديوان صريع الغواني ٣٢٣، والبيتان منقولان من الأغاني، وينظر: الأغاني ١٢/٨٦، وفيه أن مروان بن أبي الجنوب نحا نحو عوف ابن محلّم في مثل هذا.

ورُوِيَ عن ابنِ المدبّر قوله:

(أنشدني عليُّ بنُ الجهمِ لنفسهِ:

وإذا جَـزَى آللَّهُ امرَءاً بِفعـالهِ فَجَزى أَخاً لي ماجِداً سَمْحَـا
نـاديتُـهُ عَن كُـرْبـةٍ فكـأنَّمـا أطلعتُ عن لَيـلٍ بـهِ صُبْحـا

فقلت له: ويلك! هذا لإبراهيمَ بنِ العبّاس يقولُه في محمّدِ بنِ عبدِ الملكِ الزَّيّاتِ! فجحدَني وكابر. فدخلَ يوماً عليُّ بنُ الجهمِ إلى إبراهيمَ ابنِ العبَّاسِ وأنا عندَه، فلمَّا رآني قال: اجتمعَ الإبراهيمانِ. فتركتُه ساعةً ثُمَّ أنشدتُ البيتين، وقلتُ لإبراهيمَ بنِ العبَّاسِ؛ إنَّ هذا يَزعمُ أنَّ هذينِ البيتين له. فقال: كذَبَ هذانِ لي في محمّدِ بنِ عبدِ الملكِ الزَّيّاتِ. فقالَ عليُّ بنُ الجهمِ بِقِحَةٍ: ألمْ أنهَكَ أنْ تنتحلَ شعرِي! فغَضِبَ إبراهيمُ وجعلَ يقولُ بيدِه: سَوءةً لكَ سَوْءةً لك...)[1].

وكان ابنُ المدبر يُعجبُ بشعرِ البحتريِّ ويُطريه ـ كما سيأتي ـ، كما كان مُعْجَباً بـدِعْبلٍ حتَّى عـدَّه أخبَرَ النـاسِ وأقدمَهم بسببِ شعـرِه في المأمون[2]، كما كان يعجب بشعرِ أبي الشِّيصِ في عَينيهِ[3].

وكان لطيف الحسِّ الأدبيِّ مُرهفَه، ولعلَّ ما رُوِي من تعليقاته على رسالة عريبَ إليه وإلى أصحابهِ وهمْ في مجلسِ أُنسٍ دليلٌ على هذا، فقد

---

(١) الأغاني ١٠/٢٢٠ ـ ٢٢١، والبيتان في ديوان إبراهيم الصولي في الطرائف الأدبية ١٣٠ ـ ١٣١، وينظر مثل هذا أيضاً، الأغاني ١٠/٢١١، وجمع الجواهر ٢١٢، والجدير بالذكر أنَّ ابن المدبّر لم يكن على ما يظهر ـ على وئام مع ابن الجهم ـ، وفي الأخبار التي رواها عن ابن الجهم ما يشير إلى هذا. ينظر: الأغاني ١٠/٢١١، ٢١٣. وفي ديوان المعاني ٢/٢٢٠ خبر يشير إلى ثناء ابن المدبّر على مروءة ابن الجهم وصداقته له.

(٢) ينظر: معاهد التنصيص ٢/١٩٣ ـ ١٩٤.

(٣) ينظر المصدر نفسه ٤/٩٣.

رُوِي أنَّها كتبتْ (سطراً واحداً بسم اللّهِ الرّحمنِ الرَّحيمِ، أردتُ، ولولا، ولعلّي) ووجهت الرُّقعةَ إليهم، فلمَّا وصلتْ قرأوها، وعَيُوا بجوابها، فأخذها، إبراهيمُ بنُ المدبّرِ، فكتبَ تحت أردت (ليت)، وتحت لولا (ماذا؟) وتحت لعلّي (أرجو) ووجّه بالرُّقعةِ إليها، فلمَّا قرأتَها طَرِبَتْ ونَعَرَتْ...)[1].

ولم تَخلُ مجالسُه من تعليقاته الفكهةِ على أحاديثِ مَن يحضرُ تلك المجالسَ من الرجال الذين لم يخلوا من السَّذاجةِ أو قلّةِ الفِطنة[2].

ولعلَّ شهرةَ الرجلِ الأدبيّةَ وحبَّه للأدباء حملا بعض العلماء والأدباء على أن يصنف أو يؤلف له رسائلَ أو كتباً. جاءَ في الوافي بالوفيات: إن من مصنفات أحمدَ بنِ أبي طاهرٍ (رسالة إلى إبراهيمَ بنِ المدبّر)[3]، وجاء في تاريخ الأدب العربي لبروكلمان في الحديث عن قسطا بنِ لوقا (وفي خلافة المقتدر ٢٩٥ ـ ٣٢٠ هـ ألّفَ لإبراهيمَ بنِ المدبّر كتابَه (الجامع في الدخول إلى علم الطّبّ)[4]. وواضح أن بروكلمان واهمٌ في هذا، فابن المدبر توفي قبل ٢٩٥ هـ ـ كما سيأتي ـ.

علاقتُه برجالِ العَصْرِ وأُدبائه:

إنَّ طولَ الزمنِ وتقلّبَ الأحوال مَحكٌّ لاختبارِ مَعادنِ الناسِ، وسَبْرِ أغوارِهم، والوقوفِ على جواهرِهم. وابنُ المدبّرِ قطعَ شَوطاً بعيداً في مِضمارِ القَرنِ الثالثِ الهجري حتّى كادَ يَستنفدُه، وهو القرنُ الذي شَهدَ من اضطرابِ الأحوال السياسيّةِ والاجتماعيّةِ والخُلُقيّةِ ما لم يَشهدْهُ قرنٌ آخرُ.

---

(١) الأغاني ٢٢/١٢٧.

(٢) للوقوف على نماذج من التعليقات الفكهة يحسن الرجوع إلى:
جمع الجواهر ٢١٢، والهفوات النادرة ٢٥٩ ـ ٢٦٠، ٢٦٤ ـ ٢٦٥.

(٣) ٧/٩.

(٤) ٤/٩٧.

وقلَّما نجا من أشراكِ حَبائلِه، وفِخَاخِ مَكائدِه أَحَدٌ.

وكان ابنُ المدبِّرِ أحدَ من شَملَه شيءٌ من مآسي ذلكَ العَصْرِ ـ كما تقدَّمَ ـ في نكبته. ولكنه معَ ذلك كادَ أنْ يكونَ من الأفذاذِ الذينَ استطاعوا بما أُوتُوا من المُرونةِ والحِذْقِ، والحُنكةِ وسياسةِ التَّدبيرِ أَن يُوطِّدُوا صلاتِهم الحَسنَةَ وعلاقاتِهم الطَّيِّبةَ معَ أكثرِ شخصيّاتِ ذلكَ القَرنِ، فقد نالَ حُظْوةً لدَى المتوكِّلِ، وأُعجبَ به المعتمِدُ والمُعتضِدُ فكانَ وزيراً للأوَّلِ، وأَحدَ متولِّي الضِّياعِ للثاني كما سبق، بل أحرزَ مكاناً مرموقاً لدى الموفَّقِ أحدِ رجالِ الدولةِ المعروفين في عصرِه.

وممن اتّصلَ بهم من رجال العصر أبو عيسى بن المتوكل الذي كان يجتمعُ معَه في مجالسِ الأُنس واللَّهو[1]، كما كانَ على وِفاقٍ معَ صاعدِ ابنِ مُخلَّدٍ[2]، وكانَ صديقاً لأبي الصَّقْرِ إسماعيلَ بنِ بُلْبُلٍ، ولكنَّه لم يَرضَ فعلَه لمَّا نُكِبَ ولا نيابتَه عنه، فقالَ فيهِ شعراً يُعاتِبُه على ما بَدرَ منه[3]، وكانتْ علاقتُه طيِّبةً بمحمّدِ بنِ عبدِ اللّهِ بنِ طاهرٍ الذي نهض ـ كما تقدم ـ بما نَدَبَهُ له من تخليصه من نكبته.

وكانتْ صلاتُه بأدباءِ العصرِ وعلمائِه جيّدةً في أكثرِها، وعلى رأسِهم الجاحِظُ الذي كانَ أَحدَ المقرَّبينَ إليهِ، فكانَ يضمُّهما مجلسٌ في كلِّ ثلاثةِ أيام، وكان أبو عثمانَ يُعزُّ ابنَ المدبّر ويعدُّه أَحبَّ أحبّتِهِ إليهِ وأخلصَهم، ورسالتُه إليه ـ وقد تأخّرَ اجتماعُه به لِشغلٍ عرَضَ له ـ دليلٌ على المَوَدَّةِ الصَّافيةِ بين الرجلين[4]. وقد تمثّلَ إبراهيمُ ـ وفي أكثَر من موضع ـ بكلام

---

(١) ينظر: الأغاني ٢٢/١٧٧.

(٢) ينظر: الهفوات النادرة ٢٦٤.

(٣) ينظر: الأغاني ٢٢/١٨٤.

(٤) ينظر: معجم الأدباء ١٦/٩١ ـ ٩٤، والجاحظ حياته وآثاره ٣٨٨ وذهب مؤلفه إلى أن صلته بابن المدبر إنما كانت في البصرة أيّام ولايته بها، متخذاً من تعليق أحد جلساء ابن المدبّر على ما جاء في هذه الرسالة وهو قوله: (هذه رُقعةُ عاشقٍ لا رُقعةُ =

الجاحظ في رسالته العذراءِ. ومعَ كلِّ ذلك فقد غَمَزَ الجاحظُ في رسالتِه (ذمُّ أخلاقِ الكتّاب) من ابنَ المدبّرِ فقال: (وابن المدبّرِ في الخبِّ والمكايدة). وجدير بالذكر أننا لا نعرف إن كانَ يريدُ بذلك إبراهيمَ هذا أو أخاهُ أحمدَ!.

ومن أدباء العصر الذين كانتْ له معهم صِلاتٌ حسنةٌ وأخبارٌ: سعيدُ ابنُ حُميدٍ الذي كانَ أحدَ أصدقائه، يحضر معه مجالسَ الأدبِ والظَّرفِ، وقد ذكره في الرسالة العذراء، كما روَى بعضَ أخباره معَ فضلِ الشاعرةِ التي كان يتعشَّقُها[1].

ومنهم المُبرِّدُ الذي استهداهُ ابنُ المدبّر ـ كما تقدم ـ جليساً يجمعُ إلى تأديبِ ولدِه الإمتاعَ بإيناسه[2]، فكان أنْ ندَبَ الأَخفشَ لذلك، وكتبَ معه إليهِ رسالةً، وقد كانَ إبراهيمُ يُنشدُ الأَخفشَ هذا بعضَ شعره[3].

وممن كانَ يُنادمُه ويُصفيهِ وُدَّه أَبو عبدِ اللّهِ بنُ حمدونَ الذي كانَ يأْنسُ به، ويرتاحُ إليه، ويلاعبُه النَّرْدَ، وقد استغاثَ بهِ في أيّامِ نكبتِه،

= خادم) دليلاً على ذلك.

وتقدّم أننا لا نعرف على وجه الدقّة الستة التي تولّى فيها ابن المدبر البصرة، ولكننا ذكرنا اجتياح الزنج لها في سنة ٢٥٦ هـ وهرب ابن المدبر من الأسر في سنة ٢٥٧ هـ. ومعلوم أن وفاة الجاحظ كانت في سنة ٢٥٥ هـ، وأنه في أواخر عمره قد أصيب بالفالج فأقعده (وفيات الأعيان ٣/٤٧٣، وأمالي المرتضى ١/١٩٩، وتاريخ بغداد ١٢/٢٢٠). وأغلب الظن أن علاقة الرجلين ببعضهما تمتدّ إلى أبعدَ من هذا التأريخ، ولا يبعد أن تكون منذ أيّام تردد الجاحظ إلى سامراء وإقامته فيها واتصاله برجالات الدولة كابن الزيات وابن أبي داود والفتح بن خاقان وسواهم؛ فقد كان الجاحظ في ذلك الوقت قويّ البنية، قادراً على المخالطة، متمكناً من المشاركة والاجتماع!.

(١) ينظر: جمهرة رسائل العرب ٤/١٢٧، ورسائل سعيد بن حميد وأشعاره (الفهارس).

(٢) ينظر: البصائر والذخائر ٣/٤٥٦، وتحفة السرور ٢٩٦.

(٣) ينظر: أمالي القالي ١/٢٩.

فكتبَ إليه قصيدةً يسأله وفيها إذكارَ المتوكّلِ والفتحِ بن خاقانَ بأمرِه[1].

ومنهم أبو العَيْناءِ الذي كانت له معَه أخبارٌ وحكاياتٌ[2]، كما كانتْ صلاتُه حسنةً مع آخرينَ أمثال: الفضلِ اليزيديِّ[3]، وأبي حَشِيشةَ المغنّي[4]، وعليِّ بنِ يَحيى المنجّمِ الذي كانَ أحدَ مُشاركيه مجالسَ الأُنْس والظَّرْفِ، فكانا يتكاتبانِ بالأشعارِ[5]، ويحيى بنِ عيسى بنِ منارةَ[6]، وأحمدَ بنِ أبي طاهرٍ[7].

أمَّا علاقاتُه بشعراءِ العصرِ فكانتْ في أغلبها وديَّةً، فكانوا يَترددونَ إليهِ ويَسترفدونَه بحكمِ مركزِه الاجتماعيِّ والإداريِّ، ومن أجلِ ذلكَ كثُرَ مدَّاحوه والمُثنونَ عليه حتّى قالَ الصُّولي: (ليسَ في زمانِنا شاعرٌ إلَّا قد استَفرغَ بعضَ مدحهِ فيه)[8].

فمن الشعراءِ الذين كانت تربطُه بهم صلةٌ حسنةٌ، دِعْبِلُ الخزاعيُّ[9]، وإبراهيمُ الصُّوليُّ الذي كان ـ كما يقولُ ابنُ المدبّر ـ يودُّه دونَ أخيهِ أحمدَ[10]، وأبو هفَّانَ المِهْزميُّ[11]. ومحمّدُ بنُ صالحٍ العلويُّ الذي كان

---

(١) ينظر: الديارات ١١، والأغاني ٢٢/١٦٨.

(٢) ينظر: أخبار البحتري ١٢٤ ـ ١٢٥، والاقتباس من القرآن الكريم ١٧٤، وزهر الآداب ٢٩٦، ومعجم الأدباء ٣/٨ ٢٢٩ ـ ٣٠.

(٣) ينظر: أخبار البحتري ١٢٤ ـ ١٢٥.

(٤) ينظر: الأغاني ٢٣/٧٥ ـ ٧٦، ٨٣.

(٥) ينظر: الأغاني ٢٢/١٦٢ ـ ١٦٣.

(٦) ينظر: الأغاني ٢٢/١٧٢.

(٧) ينظر: الوافي بالوفيات ٧/٩.

(٨) الوافي بالوفيات ٦/١٠٧.

(٩) ينظر: معاهد التنصيص ٢/١٩٣ ـ ١٩٤.

(١٠) ينظر: الأغاني ١٠/٥٧، والطرائف الأدبية ١٢١، ومعجم الأدباء ١/٢٢٨ وفيه هجاء ابن المدبر للصولي

(١١) ينظر: الوافي بالوفيات ٦/١٠٧.

صديقاً له. وكانَ لابنِ المدبّر فضلٌ في تَزويجه، فمدحَه هذا بمدائحَ كثيرةٍ ردَّاً لجميلهِ وصنيعِه له[1]، وأبو شُراعَةَ القيسيُّ الذي كانَ صديقاً له أيَّامَ تقلّدِه البصرةَ، (حتّى كانَ لا يُفارقُه في سائرِ أحوالهِ، ولا يمنعُه حاجةً يسألُه إيَّاها، ولا يَشفعُ لأحدٍ إلاَّ شَفعَه)[2].

وممن مدحَ الرجلَ وأثنى عليهِ من الشعراء: إبراهيمُ بنُ عيسى الكاتبُ[3]، ومانيُّ المُوسوسُ[4]. وأبو صَفْوانَ القُديديُّ البصريُّ[5].

ومن كبارِ شعراءِ العصرِ الذين كانتْ له علاقةٌ بهم البُحتريُّ وابنُ الرّوميّ. ويظهرُ أنَّ صلته بالبحتريِّ قَديمةٌ تَرجعُ إلى أيَّام الشباب، ولعلّها تعودُ إلى الوقت الذي بدأ بهِ البحتريُّ يتردَّدُ إلى سامراءَ منذُ أواخرِ عهد الواثق، ويتقرَّبُ إلى الكتّاب والعُمَّال[6]، وقد أشارَ البحتريُّ في أبيات له إلى أنه كان يجاورُ ابنَ المدبّر، وإلى تلك العلاقة القديمة بينهما، فقد جاء في مقدَّمةِ أبياتٍ له في ديوانه: (وقال يمازح (أحدهم) وكان البحتريُّ وعده

---

(١) ينظر: الأغاني ١٦/٢٣٦٧، ٣٦٨.

(٢) الأغاني ٢٣/٢٤، وينظر: جمع الجواهر ١١٧، وفيه هجاء منسوب إلى أبي شراعة في أحمد بن المدبر وأخيه إبراهيم لتشددهما في الحجاب.

(٣) ينظر: نهاية الأرب ٥/١٣٩، والمستطرف ٢/٦٨ ـ ٦٩.

(٤) ينظر: الفاضل في صفة الأدب الكامل ١٢٧ ـ ١٢٨.

(٥) ينظر: الفرج بعد الشدة ٥/٥٧، وديوان المعاني ٢/٢٣٢، والوزراء والكتاب ١٠٢، وفيه: أن من جيّد أشعار ديك الجنّ قصيدته في إبراهيمَ بن مدبر الكاتب... ومعلوم أن وفاة ديك الجن كانت في سنة ٢٣٥، ٢٣٦ هـ (ديوان ديك الجن ١٥)، ولا ندري نوع العمل الذي كان يقوم به إبراهيم في هذا الوقت، بحيث يجعل شاعراً شامياً كديك الجن يقول فيه قصيدته هذه. والجدير بالذكر أنه لم يرد من هذه القصيدة سوى بيتين (الديوان١٤٩). وفي أعتاب الكتاب ١٥٩ في الحديث عن أحمد بن المدبر (وولي أحمد هذا خراج الشام، وامتدحه البحتري وديك الجن وغيرهما) ويبدو أن هذا الصوابُ).

(٦) ينظر: الفصل الأول من كتاب (البحتري في سامراء حتى نهاية عصر المتوكل).

أن ينتقلَ من جوار ابنِ المدبّر إلى جوارِه، ثم ندم على ذلك فتقاضاه الانتقالُ فكتب إليه:

أَعَنْ جِوارِ أَبي إسحاقَ تَطمعُ أَنْ تُزيلَ رَحليَ يا بُهْلَ بنَ بُهلانا

. . . . . .

هَبْني غَنيتُ بِوَفري عَن نَوالِهمُ فكيفَ أَصنَعُ بالإِلْفِ الذي كانا
عَهدٌ من الأُنْسِ عاقَرْنا الكُؤوسَ علَى بَديئِهِ، وخَبَطنا فيهِ أَزمانا
نَمَّازُ عنهُ كُهولاً بعدَ كَبْرتِنا وقد قَطعْنا بِهِ الأَيَّامَ شُبَّانا[1]

ومما يَنبغي ذكرُه أنّ محقّقَ ديوان البحتريّ يقول في تعليقه على إحدى مدائحِ الشاعرِ في أحمدَ بنِ المدبّر: (ويبدو لنا أن صلته به وبأخيه (إبراهيم) قد بدأت في آخر عهدِ المهتدي، وبدءِ عهدِ المعتمد)[2]. ومعنى هذا أن بدءَ صلة البحتري بإبراهيم كانت في سنة ٢٥٦ هـ، وهي السنةُ التي قُتِلَ فيها المهتدي[3]، واستُخلِفَ المعتمدُ[4]، ونحن نعرف أنَّ سنَّ الشاعرِ في هذا الوقتِ قد بلغتْ الخمسين، وهذا يناقضُ ما جاءَ في الأبياتِ السَّابقةِ التي تشيرُ إلى صلتهما في عهدِ الشباب.

إنَّ الأَخبارِ التي تَسرَّبتْ إلينا عن صلة الشاعرِ بابنِ المدبّر تشير إلى أنها كانتْ حسنة في أكثرِ الأحيان. وأنَّ البحتريَّ نشطَ في علاقتِهِ هذهِ فقال في الرجل (٢٢) اثنتين وعشرينَ مقطوعةً وقصيدةً في مدحِه وعتابِهِ والشكوَى من حاجبه إلى غير ذلك من الأمور[5].

ويظهرُ أنَّ الشَّاعرَ أحسَّ بَدالتِهِ على الرجلِ (فكانَ يَلزمُه في كلّ سنة

(١) ديوان البحتري ٢٣٣٠.
(٢) ديوان البحتري ٣٧، الحاشية.
(٣) ينظر: البحتريّ في سامراء بعد عصر المتوكل ١٧٣.
(٤) ينظر المرجع نفسه ١٩٤.
(٥) تقع هذه المقطوعات والقصائد في أكثر من (٥٠٠) خمسمائة بيت.

أنْ يسقط أكثَر خراجه، أو يؤديَه عنه)[1].

كما أنّ ابنَ المدبّرِ قد شعرَ بأهميةِ الشاعرِ وشعرِه فيه، فكان يُطربه ويُقرّظُه، وقد رُوِي أنه ذكره يوماً فقال: (ما رأيتَ أَتَمَّ طَبعاً منهُ، ولا أَحضرَ خاطِراً، مدحَني حينَ تخلّصتُ من الأَسرِ، وذكرَ الضَّربةَ التي في وجهي وتَخلّصي، ومدحَ المأسورَ، وهذا حِمىً ما رَعاهُ قبلَه أَحدٌ)[2].

وجَهدَ ابنُ الرُّوميِّ أنْ يَتقرَّبَ إلى ابنِ المدبّرِ فبدأَ يمتدحُه ويُثني عليه، ويأملُ أَنْ ينالَ منه ما يَنالُه سواه من الشعراءِ، ويبدو أنَّ إلحاحَ الشاعرِ في طلبِهِ كانَ من أَسبابِ تَلكؤِ ابن المدبرِ في استجابةِ ما كان يُنشده منه، ولهذا ظهرتْ شكواهُ وعِتابُه ثُمَّ تَحوَّلا إلى الهجاءِ الذي لم يَخلُ من الهُجْرِ والفُحْشِ[3]. وتقدَّمَ أنَّ ابنَ المدبّر طلبَ الشاعرَ حين هجاهُ ولكنَّه عندَما ظَفرَ بِهِ أَرادَ قتلَه، اعتذرَ الشاعرُ وتنصَّلَ ممّا قاله فيه فعفا عنه وأجازه[4].

وهناكَ طائفةٌ من الشعراءِ الذين كانوا يختلفون إلى بابِهِ فكانَ حاجبُه يَتشدَّدُ في حَجْبِهم، ولا يُيسّرُ لهم الدُّخولَ إليه قد أُثرتْ لهم مقطّعاتٌ في عتابِ الرّجلِ والشَّكوَى من حِجابِه وحاجبِه، بلْ وهجاءُ ابنِ المدبّرِ نفسه[5].

---

(١) أخبار البحتري ١١٩.

(٢) أخبار البحتري ١١٣، وتنظر ص ١٣٤ وفيها: (أن البحتري جاء إلى باب إبراهيم، وكان أخو ابن المدبر واقفاً فقال: . . . وأذن إبراهيم للبحتري، فغضب ولم يدخل، فوجّه إليه، ما أحسب الذي هجاك بأقدر على الهجاء منك، فاهجه ولا تأخذنا بذنبه، وتغضب علينا).

(٣) لابن الرومي في مدح وعتاب وهجاء ابن المدبر (٢١) إحدى وعشرون مقطوعةً وقصيدةً تقع جميعها في أكثر من (٤١٠) أربعمائةٍ وعشرةِ أبياتٍ، منها خمس مقطوعات وأربع قصائد في هجائه.

(٤) ديوان المعاني ١/٢٠٠.

(٥) ينظر: رسائل الجاحظ ٢/٣٧، ومعجم الشعراء ٤٠٩، وثمار القلوب ٢٢٤، ومعجم الأدباء ١/٢٢٩، ٢٣١ - ٢٣٢، والوافي بالوفيات ٢/١٩١.

الأُسْـــرَةُ:

في المظانِّ التي رَجَعْنا إليها إشاراتٌ وأخبارٌ عن بعضِ أفرادِ أُسرةِ بني المدبّر وأكثرُها ـ إذا استثنينا أخبارَ إبراهيمَ وأحمدَ ـ أخبارٌ مُقتضبةٌ وإشاراتٌ سريعةٌ أو تَلميحاتٌ خاطفةٌ.

وقد تجمّعَ لدينا عدداً من أفراد هذه الأسرةِ، فجدُّهم الأعلى هو عُبيدُ اللّهِ، ولا نعرفُ عنه شيئاً، وإنّما جاءَ في سِياقِ الحديثِ عن نسبِ إبراهيمَ وأخيه أحمدَ، وابنُه محمّدٌ: وجاء خبرٌ عنه في عهدِ المأمون حينَ خروجه إلى أرض الروم في سنة ٢١٥ هـ ـ كما تقدَّمَ ـ، ويبدو أنّه كان على شيء من اليسارِ.

ولعلَّ أوَلَ من ذكر أبناءَ محمّدٍ هذا ابنُ النديم فقال:

(بنو المدبّر: أحمدُ ومحمّدٌ وإبراهيمُ، وجميعُهم شاعِرٌ مُترسّلٌ بليغٌ)[1] ولا نعرفُ شيئاً عن محمّدٍ هذا سوى ما ذكره ابنُ النّديمِ.

أما أحمدُ، فهو أبو الحسن[2]، وكان أسنَّ من إبراهيمَ[3]، ولعلَّ ما يؤيّد هذا، ما ذكره عنه الجهشياريُّ ـ ويظهرُ أنه أقدمُ خبر عنه ـ من أنَّ أحمدَ هذا كانَ يتقلّدُ مجلسَ الإسْكِدارِ[4] في ديوانِ الخراجِ في سنة

(١) الفهرست ١٨٤. علّقَ بعضُ الدارسين على كلام ابن النديم بقوله: (غير أن ابن النديم انفرد في فهرسه بإضافة أخ آخر له (أي إبراهيم) هو (محمد) فقال: (بنو المدبر...) والمعروف أنَّ أباه هو محمّد ولعلّ ابن النديم يعني ذلك)، الأقلام ٣٥. ولو صحّ هذا لَقدَّمَ الوالدُ على الابن فقيل: (محمد وأحمد وإبراهيم) وقد أكّدَ الصَّفديُّ ما ذكره ابنُ النديم فقال في ترجمة إبراهيم: (وهو أخو أحمد ومحمد) الوافي ١٠٧/٦.

(٢) ينظر: جمع الجواهر، والوافي بالوفيات ٣٨/٨، وفوات الوفيات ١٣٢/١، وفي أدب الكتاب ١٦٠ (أبو الحسين).

(٣) ينظر: إعتاب الكتاب ١٥٨، والوافي بالوفيات ٣٨/٨.

(٤) الإسكدار: مَدْرَجَ يكتب فيه عدد الخرائط، والكتب الواردة والنافذة، وأسامي أربابها (الوزراء والكتاب ١٩٩ هامش ٣).

٢١٥ هـ وهي السنة التي خرج فيها المأمونُ إلى بلادِ الروم، وكان أحمدُ في ذلك الوقتِ يكتب بين يـديْ جعفرٍ الخيـاطِ الذي كـانَ في صُحبةِ المأمونِ، فاصطحبَ ابنَ المدبّر معه، وكان آنذاك قد اكتملَ[١].

وتشيرُ أخباره إلى أنه كان يكتبُ لابن الزيّاتِ أيّامَ المعتصم، فلما جاء المتوكّل ورأى فيه مقدرتَه وعلمَه وتضلّعه من الكتابة، قرّبه وأدناه، فتولّى في عهده الأعمالَ الجليلةَ، وَلَّاهُ سَبعةَ دواوينَ. ولمّا عزمَ المتوكّلُ على اتخاذ دمشقَ عاصمةً له، كان أحمدُ المسؤولَ عن إعدادِ وتهيئةِ كلِّ ما يُحتاجُ إليه في هذا الشأنِ. وفي عهودِ الخلفاء الذين أعقبوا المتـوكل: كالمنتصر والمعتزّ والمهتدي والمعتمد، كان يتولّى الخراجَ في بلادِ الشام ومصر، فلما اشتدتْ الملاحاةُ بينه وبين أحمد بن طولونَ، حبسه هذا وقيّده فمات في حبسه سنة ٢٧٠ هـ[٢].

كان ابنُ المدبّر مبرّزاً في عملِه، معروفاً له بمقدرته فيه، وفي أخباره، ما يشير إلى هذا، ولعلَّ مناظرته إبراهيمَ الصولي في حضرة المتوكل دليلٌ على هذا[٣].

وتعرّضَ في حياته إلى ما تعرّضَ إليه الكثيرونَ من أمثالِه في تلك الحِقبة، وهو الحبسُ، ويبدو أنه تعرّضَ إلى هذا أكثرَ من مرَّة، فقد رُوِي أنه كان في حبس الواثق مع عددٍ من الكُتّاب، كما طُولبَ بالأموال في عهد المتوكّل فاضطر إلى الاختفاءِ، وحبس من قبل ابن طولون أكثرَ من مرة،

---

(١) ينظر: الوزراء والكتاب ١٩٩ ومما ينبغي ذكره أن الجهشياري أشار إلى ما جرى بين عريب المغنية التي كانت في جملة من خرج مع المأمون وأحمد، يقارن ذلك بما حدث لأخيه إبراهيم معها ـ كما تقدم ـ.

(٢) ينظر: تاريخ اليعقوبي ٣/٢٢١ ـ ٢٢٦، ٢٣٤ ـ ٢٣٩، ومروج الذهب ٤/٨٠٠، والولاة والقضـاة ٢١٤، وإعتاب الكتاب ١٥٨، ووفيات الأعيان ٦/٥٥.

(٣) ينظر: معجم الأدباء ١/١٩٤ ـ ١٩٦.

وانتهت حياته وهو في غيابة السّجنِ ـ كما تَقدَّمَ[1] ـ.

إنَّ حياتَه لم تخلُ من الجمع بينَ الجِدِّ الصارمِ الذي يحتّمُه عليه عملُه حتى قيل إنه كان يصلحُ للقضاء[2]، وبينَ اللَّهوِ الذي لم يَنغمسْ فيه كما انغمس أخوه إبراهيم، ولهذا قلَّت الأخبار عن الجانبِ اللاَّهي في حياته، حتى نُعِتَ بأنه كان قَليلَ المنادمة، وأنه اصطَفَى لنفسه عدداً من النُّدَماءِ، انفرد كلُّ رجلٍ منهم بنوعٍ من العلمِ لا يساويهِ فيه غيرُه[3].

وعلاقةُ أَحمدَ برجال العصر وأدبائه وشعرائه، كانت تَتَرجَّحُ بينَ الإعجاب به والثناء عليه، والإفراط في تقديمه على أقرانه فيما اختصَّ به من العلم بالأعمال، فامتدحَه الشعراءُ وقرَّظَه الأُدباءُ، وبينَ النَّيلِ منه، والتألّبِ ضدَّه، والإيقاعِ به[4].

وكان ممن تعاطى فني الأدب، وشارك فيهما، وعدَّه ابنُ عبدِ ربّه أحدَ الكتّاب الذين نبلوا بالكتابة، واستحقّوا اسمها[5]. ونعته ابنُ النديم بالقدرة على البراعة في الشعر والنثر، وأشار إلى أنَّ له ديوانَ شعر يقع في سبعين

---

(١) ينظر: آل وهب من الأسر الأدبية في العصر العباسي ٢٤٨ ـ ٢٥٠، ومروج الذهب ٤/١٠٠، وفوات الوفيات ١/١٣٣.

وفي الوافي ٨/٣٨ إن موته كان في سنة ٢٦٥ أو ٢٧٠، أو ٢٧١ هـ.

(٢) ينظر: الوافي بالوفيات ٨/٣٨، وفوات الوفيات ١/١٣٢.

(٣) ينظر: مروج الذهب ٤/١٠٠ ـ ١٠١، وشرح مقامات الحريري ٢/٧٦، وفيه أن الذي اشتهر بهذا هو إبراهيم بن المدبر.

(٤) ينظر: العقد الفريد ٣/٢٣٤ ـ ٢٣٥، وأدب الكتاب ١٦٠ ـ ١٦١، والأغاني ١٠/٥٨، ٦٧، والفاضل في صفة الأدب الكامل ١٣٤، والموشح ٥٣٣، والوزراء والكتاب ٢٥٢، وجمع الجواهر ١١٧، وأعتاب الكتاب ١٥٩، ومعجم الأدباء ١/١٧٩، ١٨٤، والوافي بالوفيات ٦/١٠٧. من الطريف أنَّ أحمدَ هذا كان إذا مدحه شاعر فلم يحسن، وكَّلَ به من يمضي معه إلى الجامع فلا يفارقه حتى يصلّي مائة ركعة...) جمع الجواهر ٧٧.

(٥) ينظر: العقد الفريد ٤/١٧٠، وإعتاب الكتاب ١٥٨.

ورقةً، وأنَّ له ديوانَ رسائلَ، وسَبقَ أنْ شككنا في قولِ ابنِ النَّديمِ[1] فيما يتعلّق بديوانِ شعر الرجلِ.

ومن الجديرِ بالذكرِ أنَّنا لم نَقفْ على نصٍّ نثريٍّ واحدٍ منسوبٍ إلى أحمد هذا، ولكننا جمعنا له مقطوعاتٍ شعريةً تقعُ جميعُها في (٢١) واحدٍ وعشرينَ بيتاً، وهي لا ترتفعُ في مستواها الفنيّ إلى ما أُثرَ لأخيه من الشعر.

ومن ولد أحمد أبو غالبٍ الذي كان مع عمِّه إبراهيمَ في البصرة حين اجتاحَها الزّنجُ فحُبسَ معه ثم هربَ معَ عمِّه بعد ذلك.

والحقُّ أنَّنا لا نعرف اسمه إذ لم تذكرْه الأخبارُ إلاَّ بالكُنية، والبحتري الذي مدحه بثلاثِ قصائدَ لم يُسَمِّه، وإنما ذكرَه بالكُنية أيضاً، وفعل مثل ذلك من أشار إليه من المحدثين، ومنهم محقّقُ ديوان البحتري[2].

ومن أولاده أيضاً، محمّدٌ، ولمحمَّدٍ هذا ولدٌ اسمُه عبدُ اللّهِ، ولا نعرف عنهما شيئاً سوى ورودِ اسميهما في سياقِ الخبرِ الذي رواه عبدُ اللّهِ هذا حولَ خروج جَدِّه إلى أرضِ الرُّومِ معَ المأمونِ ـ كما تقدَّم[3] ـ.

وأشارَ التّنوخيُّ إلى أنَّ لأحمدَ بنتاً، وجاءَ ذلكَ في أحدِ الأخبارِ التي رواها ابنُ بنتِ المدبّرِ هذا[4].

ويبدو أنَّ بعضَ أحفادِه انتقلوا إلى المغرب فسكنوها وأصبحَ لهم فيها عَقِبٌ كثيرٌ وعُرِفوا بِبني العشيرةِ واشتهروا بالكرمِ والشجاعة[5].

---

(١) ينظر: العقد الفريد ٤/ ١٧٠، وإعتاب الكتاب ١٥٨.

(٢) ينظر: ديوانِ البحتري ٢٨٩ الحاشية، وأخبار البحتري ١١٣ ـ ١١٤، وتاريخ الطبري حوادث ٢٥٧.

(٣) ينظر: الوزراء والكتاب ١٩٩.

(٤) ينظر: الفرج بعد الشدة ١/ ٢٤٧.

(٥) ينظر: إعتاب الكتاب ٢٢٤.

وأما إبراهيمُ فقد ألمحتْ بعضُ مَظانِّ أخبارِه إلى أنَّ زوجتَه كانت معه في حبس الزنج له في البصرة، وأنها تخلَّصتْ من الأَسْرِ وهربتْ معه[1].

كما أَلمحتْ إلى ولده الذي استهدَى المبرِّدَ جليساً لتأديبه[2]. كما ذكرتْ أنَّ له بنتاً، وأنَّ من أولادِها أبا الحسين عبدَ الواحدِ بنِ محمّدٍ الخصيبيّ[3].

ومما يجدرُ ذكره أنَّ بعضَ الأخبار تحدّثت عن أبناء المدبّر ولكنَّها لم تُسمِّهم.

فقد ذكر الصُّوليُّ أخاً لإبراهيمَ فقال: (وحدثني اليزيديُّ قال: جاءَ البحتريُّ إلى باب إبراهيمَ، وكان (أخو ابن المدبر) واقفاً فقال (أبيات في هجاء البحتريّ...)[4].

كما أَشار التّنوخيُّ إلى أبي صالحِ بنِ المدبّر الذي كان موجوداً في عهد المعتمد[5].

كما ذكرَ الكُتُبي في حديثه عن ابن حنزابةَ الذي تقلّدَ وزارة كافورٍ وأحمدَ بنِ الإخشيدِ بمصرَ والذي كان مولعاً بالحشرات كالحيّات وغيرها أنه كتبَ إلى ابن المدبّر الذي كانَ من كتّاب أَيَّامِهِ ودولتِه، وهو عزيزٌ عنده ويسكن جواره، كتاباً في هربِ بعض حيّاته إلى مسكنه...[6].

---

(١) ينظر: أخبار البحتري ١١٤.

(٢) ينظر: البصائر والذخائر ٤٩٦/٣، ومعجم الأدباء ٢٥٥/١٣، مما يجدر ذكره أنَّ لفظة (ولد) قد تعني الجمع، وليس في الخبر الذي نقله أبو حيان وياقوت ما يدل على أنه مفرد أو جمع.

(٣) ينظر: نشوار المحاضرة ١٣١/٨.

(٤) أخبار البحتري ١٣٤.

(٥) ينظر: نشوار المحاضرة ١٤٥/٨.

(٦) ينظر: فوات الوفيات ٢٩٤/١. مما يجدر ذكره أن ولادة ابن حنزابة في سنة ثمان وثلاثمائة، ووفاته في سنة إحدى وتسعين وثلاثمائة.

ومن الأخبار التي تندرجُ ضمنَ الحديث عن (ابن المدبر) ولم تسمّه، والتي لا نستطيع القطعَ في نسبتها إلى أحد الأخوين: إبراهيم أو أحمد، ما ذكره ابن عبد ربه في قوله: (وفصل لابن المدبر: وصل كتابك المفتتح بالعتاب الجميل. . .)[1].

وما ذكره التوحيدي، كقوله: (قيل لابن المدبر يوماً: ما تقولُ في الشعر؟ قال: يرفع الخسيسَ، ويضعُ الشريفَ)[2].

وقوله: (قال ابن المدبّر: أنشدني ابن السكيت:

إقرِ الهمومَ إذا ضافَتْ مُعتّقةً صَهْباءَ يُحْدِثُ فيها الماءُ تَفْويفَا
تكسُو أَصابعَ سَاقِيها إذا مُزِجتْ من الشُّعاعِ الذي فيها تَطَارِيفَا)[3]

وفاتـــه:

تُوفي ابنُ المدبّرِ يومَ الأربعاءِ لثلاثَ أو أربعَ عشرةَ بقيت من شوَّالَ سنةَ تسعٍ وسبعينَ ومائتينِ[4] ببغدادَ[5].

أدبـــه:

كانَ ابنُ المدبّرِ أحدَ من جَمعوا بين فنيْ الأدبِ: شعرِه ونثرِه، وكان من البارعينَ فيهما المتمكنينَ منهما، وقد ألمحَ إلى هذا غيرُ واحدٍ ممن ترجمَ له، أو تحدَّثَ عنه من القدماء.

فقال أبو الفرجِ: (شاعرٌ كاتبٌ متقدّمٌ من وجوهِ كتّابِ أهلِ العراقِ

---

(١) العقد الفريد ٤/٢٢٩.

(٢) البصائر والذخائر ١/٣٥٧.

(٣) نفسه ١/٤٦٨، وينظر أيضاً المصدر نفسه ٤/٦٦، وفيه أخبر استعراض ابن المدبر طباخة، وقوله لها، وإجابتها عن قوله.

(٤) ينظر: تاريخ الطبري حوادث ٢٧٩ هـ، ومعجم الأدباء ١/٢٢٧، وفوات الوفيات ١/٤٧.

(٥) ينظر: الأعلام ١/٥٦.

ومتقدّميهم)[1]، وقال الصولي: (كان إبراهيمُ بنُ المدبّرِ رجلاً جليلاً عالماً شاعراً، لا يُدانيه في ذلك كلِّه أحدٌ)[2].

وقال ابنُ النَّديمِ: (أحمدُ ومحمّدٌ وإبراهيمُ وجميعُهم شاعرٌ مترسّلٌ بليغٌ)[3]، وقال ياقوتُ: (الكاتبُ الأديبُ الفاضلُ، الشاعرُ الجوادُ المترسّلُ، صاحبُ النَّظمِ الرَّائقِ والنّثرِ الفائقِ)[4].

وقال ابنُ شاكرٍ الكتبيُّ: (كانَ كاتباً بليغاً فاضلاً مترسّلاً)[5].

نَـثـــرُه:

على الرَّغمِ مما اشتهرَ به ابنُ المدبّرِ من الميلِ إلى الكتابة، والبراعةِ فيها ـ كما تقدَّمَ ـ فإنَّ ما وصلَ إلينا من نثره لا يتناسبُ وسمعتَه فيها، اللّهمَّ إذا استَثْنَيْنَا الرسالةَ المنسوبةَ إليه، فكلُّ ما وقَفْنا عليهِ من نثره رسالتانِ صغيرتانِ، وجُملةٌ من الأقوال المنسوبة إليهِ جاءتْ في تضاعيفِ أخباره[6]، وفصلٌ من رسالة لم تتأكد نسبتُه إليه أو إلى أخيه؛ لأنه جاء على هذا النحو: (فصلٌ لابنِ المدبّر)[7].

وإننا لَنعجبُ من هذه النُّدرةِ في نثرِه، مع أنّ هناك أسباباً كانتْ داعيةً إلى الإكثارِ منه؛ فالرجلُ بدأ حياتَه كاتباً ـ كما تقدَّمَ ـ، وكانتْ علاقاته في

---

(١) الأغاني ٢٢/١٥٧.

(٢) إعتاب الكتاب ١٥٩، وينظر: الوافي بالوفيات ٦/١٠٧.

(٣) الفهرست ١٨٤.

(٤) معجم الأدباء ١/٢٢٦ ـ ٢٢٧.

(٥) فوات الوفيات ١/٤٥، وينظر: الأعلام ١/٥٦.

(٦) يمكن الوقوف على ما أثر له من نثر بالرجوع إلى:
الصداقة والصديق ٤٤٣، ٤٤٤، ومحاضرات الأدباء ١/٣١٦، وأخبار البحتري ١١٣ ـ ١١٤، والأغاني ٢٢/١٨٠، ٢٣/٢٤، وجمع الجواهر ٢٠٨، ومعجم الأدباء ١٦/٩٢.

(٧) العقد الفريد ٤/٢٢٩.

المجتمعِ قويّةً واسعةً، وأعمالُه كثيرةً مهمّةً، وصِلاتُه برجالِ الأدبِ مشهورةً ومعروفةً، وتعرَّضَ في أثناءِ حياته إلى ما يستوجبُ الكتابةَ، بل الإكثارَ منها، أضِفْ إلى كلِّ ما تقدَّمَ أنه قد مُدَّ له في عمره، كما أسلفنا.

ولا شكَّ في أنَّ شيئاً غيرَ قليلٍ من كتاباته قد فُقِدَ، ولعلَّ فقدان مكاتباته لِعريبَ خيرُ دليلٍ على هذا، فقد ذُكِرتْ جملةٌ من مكاتبات عريبَ إلى ابن المدبّرِ، فيها إشاراتٌ إلى أنَّها أجوبةٌ عن رسائلِ الرجلِ إليها، فقد رُوِي عن ابن المعتزِّ قوله: (قرأتُ في مكاتبات لِعَريبَ فصلاً أجابتْ به إبراهيمَ بنَ المدبّر... قرأتُ رُقعتَكَ المسكينةَ التي كلّفتها عن أحوالنا...)[1]، وقوله: (وقد كتبَ إليها يشكو عِلّتَه: كيفَ أصبحتَ...)[2]. وقوله: (وكتبتْ إليه... وقد وافاني كتابُك لا عدمته...)[3].

وجديرٌ بالذكرِ أنَّ هناك ـ على ما يظهر ـ اضطراباً وقعَ في الفهرست في الحديث عن بني المدبّر ونتاجهم، فقد جاء فيه:

(بنو المدبر: أحمد ومحمد وإبراهيم وجميعُهم شاعرٌ مترسّلٌ بليغٌ ولأحمدَ كتاب المجالسة والمذاكرة)[4]. ثم أعقبَ ذلك الحديثُ عن (هارونَ بنِ محمّد بنِ عبدِ الملك الزّيّات)، ثُمَّ الحديثُ عن سعيدِ بنِ حُمَيْدٍ، وعدّدَ ابنُ النديمِ ما أُثِرَ لسعيدٍ من الكتب قائلاً: (وله من الكتب كتابٌ... كتابُ ديوان رسائلِه)، كتاب شعرِه (والمصارعة لأحمد وإبراهيم ولكل واحد منهم كتاب رسائل).

---

(١) الأغاني ٢٢/١٧٢.

(٢) نفسه ٢٢/١٧٤.

(٣) نفسه ٢٢/١٧٤.

(٤) الفهرست ١٨٤ ـ ١٨٥، ومما ينبغي ذكره أن هذا الاضطراب جاء في طبعة الفهرست أوروبية أيضاً.

وواضحٌ أنَّ العبارةَ الأخيرةَ ابتداءً من (والمصارعة) لا صلةَ لها بترجمةِ سعيدٍ، وأكبرُ الظنِّ أنها سَقَطتْ أو انتُزِعَتْ من ترجمةِ بني المدبّرِ وأُقحمتْ في ترجمةِ سعيدٍ، وإذا صحَّ هذا؛ فإنَّ لإبراهيمَ ديوانَ رسائلَ ولكنه فُقِدَ في جُملةِ ما فُقِدَ من التُّراثِ!.

أمَّا أطولُ ما وصلَ إلينا من نثره، وأخطرُه، فالرسالةُ العَذْراءُ المنسوبةُ إليه، ولأهميتها من جهةٍ، ولاشتمالِها على أمورٍ نحسبها ما تزال بحاجة ماسّةٍ إلى وقفةٍ علميَّةٍ مُتأنّيةٍ، فنتوقفُ عندَها قليلاً.

اشتهرتْ هذهِ الرسالةُ باسمِ (الرّسالة العذراء)، وكأنَّ هذا الاسمَ أصبحَ عُنواناً لها كسائرِ عنواناتِ الكتبِ والمصنّفاتِ المشهورةِ، وكثيراً ما كانَ المقتبسونَ منها والمتحدّثونَ عن صاحبها يشيرونَ إلى هذا الاسم. ولمَّا كانَ الأمرُ كذلك، فمن حقِّ الدارسِ أنْ يقفَ عندَ هذا الاسم ليتحقَّقَ منه، ومن صحّته، وفيما إذا كانَ من وَضْعِ صاحبِ الرسالةِ أو سواه.

ويبدو أنَّ تسميةَ الرسالةِ بالعذراءِ جاءتْ من الفقرةِ الأخيرة في الرسالة وهي: (وهذه الرسالةُ عذراءُ...)[1].

وأكبرُ الظَّنّ أنَّ هذهِ التّسميةَ لم تكنْ وُضعتْ لِلرسالة في إبَّانَ إنشائها، وإنّما أُلحِقتْ بها بعد زمنٍ طويلٍ، وسنبيّنُ موقفنا من الفقرة الأخيرةِ من هذه الرسالةِ في أعقابِ حديثنا عنها. ولعلَّ في سكوتَ المصادرِ التي تَرجَمتْ لابنِ المدبّر، أو ذكرَتْ أنَّ له ديوانَ رسائلَ، أو التي اقتبستْ من هذهِ الرسالةِ نصوصاً طويلة، أقول لعل في سكوتها عن ذكرِ هذه التسميةِ ما يؤيّدُ ما نذهبُ إليه، فلو كانتْ هذه التسميةُ شائعةً منذ إنشاء هذه الرسالةِ لما عدمنا الإشارةَ إليها، ولو كانتْ هذه الإشارةُ عابرةً ـ كما يقولون ـ في مصدرٍ قديمٍ.

وقد نشرَ هذهِ الرسالةَ بهذا العنوانِ الأستاذُ محمّد كرد عليّ في

---

(١) جمهرة رسائل العرب ٤/٢٤١.

(رسائل البلغاء) والدكتور زكي مبارك، وأحمد فريد رفاعي في مجموعته (التذييل على المقدمة)، وأحمد زكي صفوت في (جمهرة رسائل العرب)[1].

* * *

والحديثُ عن نسبة هذه الرسالة لا يقلُّ أهميّةً عن اسمها، بلْ يَحتاجُ إلى وقفة متأنية. فالنشرات السابقة نسبتها إلى إبراهيم بن المدبّر، ويظهرُ أنَّ ناشريها لم يقفوا عندَ أمرٍ مهمٍّ جداً، كانَ عليهم أن لا يغفلوه، أو لا يكتفوا بالإشارةِ السريعةِ إليه، دونَ إعطائه حقَّه من التحقيق والبحث. ومعلومٌ أنَّ البتَّ في صحَّة نسبةِ النَّصِّ ليسَ بالأمرِ الهَيّنِ، خاصةً إذا كانَ هناكَ ما يشكّكُ في هذهِ الصّحة أو يُضعفُها.

فالأستاذ كرد علي جعلَ عنوان نشرته على هذا النحو:

الرسالة العذراء

في موازين البلاغة وأدوات الكتابة كتب بها أبو اليسر إبراهيم بن محمد المدبر[2].

ولكنه أشار في الحاشية إلى أمرينِ مهمين قائلاً:

١ ـ إنَّ الرسالةَ (منقولةٌ من مجموعٍ قديمٍ من كتبٍ إسلاميةٍ للشيخِ الطاهرِ الجزائريّ. وقد عرضناها على الأصلِ وعلى مخطوطةٍ أُخرَى محفوظةٍ بدارِ الكتبِ المصريّةِ رقم (٨٠ مجاميع تيمور) وأنه رجعَ إلى العقد الفريد ونهاية الأرب لمقابلة النصوصِ الواردةِ فيهما.

٢ ـ جاء (في التيموريّة: كتب أبو اليسرِ إبراهيمُ بنُ محمّدٍ الشّيبانيُّ إلى إبراهيمَ بن محمد بنِ المدبّر).

وتَبعَه في هذا أحمد زكي في الجمهرةِ، وأضافَ أنَّ ابنَ عبدِ ربّهِ

(١) ينظر: مجلة الأقلام ٤٥.

(٢) رسائل البلغاء ٢٢٧، وتبعه في هذا العنوان صاحب جمهرة رسائل العرب.

والنُّويريَّ والقَلْقَشَنْديَّ كانوا يلقّبونَ صاحبَها بالشّيبانيّ وقال: (والظاهرُ أنّه ينتمِي إلى شيبانَ بالولاء)[1].

أمَّا الدكتورُ زكي مبارك فلم يُشرْ إلى نسخةٍ مخطوطةٍ معيّنةٍ، ويظهرُ أنّه اعتمدَ على نصٍّ كاملٍ للرسالةِ وصحّحَه على ما في العقدِ الفريدِ ونهاية الأَربِ فجاء عنوان نشرته على هذا النحو:

الرّسالة العـذراء

لإبراهيم بن المدبّر

مصحّحة ومشروحة مع مقـدّمة مفصّلة بـالفرنسيـة عن فن الإنشاء ومذاهب الكتاب في القرن الثالث.

وجاءتْ نقولٌ كثيرةٌ من هذه الرسالةِ في العِقد الفريدِ[2]، وكان يُقدم لها بعبارة: قال إبراهيمُ بنُ محمّدٍ الشَّيبانيُّ أو قالَ إبراهيمُ الشّيبانيُّ.

ويظهرُ أن النُّويريَّ والقَلْقَشَنْديَّ قد نقلا من العِقد، ولهذا كانا يقدّمان للنصوص المنقولة بقولهما: قالَ إبـراهيمُ بنُ محمّدٍ الشيبـانيُّ، أو قال إبراهيمُ الشَّيبانيُّ[3] أيضاً.

وأشارَ الأُستاذُ هلال ناجي في نشره (كتاب الكتّاب وصفة الـدواة والقلم وتعريفهـا) للبغدادي إلى هذا الأمر، فقال في حديثه عن أهمية الكتاب الذي نشره: (والحقيقةُ العلميةُ الثانيةُ التي كشفَها هذا المخطوطُ هي تصحيحُ نسبةِ الرسالةِ العذراءِ وردّها إلى صاحبها، فالنصـوصُ التي اقتبسَها مصنّفنا من الرسالة المذكورة نسبها إلى الشيبانيّ. ومعلومٌ أنّ بعضَ مخطوطاتِ الرسالةِ العذراءِ قد ذكرتْ صراحةً ما نصُّه:

---

(١) جمهرة رسائل العرب ٢٤١/٤ الحاشية.

(٢) ١٥٩/٤، ١٧١ - ١٧٢، ١٨٠ - ١٩٠، ٣٩٣/٥ - ٣٩٥.

(٣) ينظر: نهاية الأرب ١٢/٧ - ١٣، ١٩، وصبح الأعشى ٤٥١/٢، ٤٥٧، ٢/٣، ٢١٩/٦.

مما كتب به إبراهيمُ بنُ محمّدٍ الشيبـانيُّ إلى إبراهيمَ بنِ محمّـدٍ المدبّرِ.

لذلك يكونُ ما وردَ في مخطوطتنا معزِّزاً لنسبةِ الرسالةِ إلى الشيبانيّ لا إلى ابنِ المدبّرِ. خلافاً لما ذهبَ إليه زكي مبارك وكرد علي في نشرتهما للرسالة العذراء. وجديرٌ بالإشارة إلى ان القلقشنديَّ في صُبحِ الأعشى وابنَ عبدِ ربّهِ في العِقْدِ الفريدِ قد نسبا مقتبساتِهما منها إلى الشّيبانيّ أيضاً، ويعزّز رأيَ البغداديّ الأكثر قدماً)[1].

وواضحٌ أنَّ فيما تقدّمَ جُملةَ أمورٍ يَنبغي الوقوفُ عندَها والإلمامُ بها أو التساؤلُ عنها:

١ ـ يبدو أنَّ أقدمَ المصادرِ التي نقلتْ فقراتٍ طويلةً من الرسالة وأشارت إلى اسم صاحبها صـراحة هـو العِقدُ الفَـريدُ، ثمَّ أعقبَـه النُّويـريُّ فالقلقشنديُّ ولكنهم أسموا صاحبها ـ كما تقدم ـ أبراهيمَ بنَ محمّدٍ الشيبانيَّ.

٢ ـ إنَّ المجموعَ القديمَ الذي وردتْ فيه هذهِ الرسالةُ ـ كما قيل ـ لا يَرقَىٰ إلى تاريخِ العِقد الفريدِ، بلْ لعلَّه لا يصلُ إلى تاريخ نهايةِ الأرب، ومن يدري فلعلَّه من القرونِ المتأخرةِ عن صبحِ الأعشى. ولو ذُكِرَ تاريخُ هذا المجموعِ كما هي الحال في أكثرِ ما يحقّقُ من النصوصِ لساعدَنا كثيراً على كشفِ الغموضِ عن هذه الرسالةِ.

٣ ـ إنَّ هناك اضطراباً في اسم صاحب الرسالة كما ورد في نشرتي كرد علي وأحمد زكي. فالأول ذكرَ أن صاحبَها (أبو اليسر إبراهيمُ بنُ محمّدِ ابنِ المدبر) وأشار في أنَّ الاسمَ جاءَ في نسخةِ تيمور على هذا النحو:

(وكتبَ أبو اليسرِ إبراهيمُ بنُ محمدٍ الشيبانيّ إلى إبراهيمَ بنِ محمّدِ ابنِ المدبر).

---

(١) مجلة المورد م ٢ ع ٢ ٤٥.

٤ ـ إنَّ أحمد زكي تَبِعَ كرد علي ولكنه حاولَ أنْ يُضيفَ شيئاً بعد أن أحسَّ بالاضطرابِ في لقب الرجلِ وهو (الشيبانيّ) فقال: (والظاهرُ أنه ينتمي إلى شيبانَ بالولاء).

٥ ـ إنَّ ما جاءَ في كتابِ الكتاب وصفة الدواة والقلم وتعريفها من إشارات إلى نصوص وردت في الرسالة العذراء، لم ينصّ البغداديّ فيها على اسم الشيبانيّ صراحة.

٦ ـ لم يَلفتْ نظرَ أحدٍ من ناشري الرسالةِ ـ كما سلف ـ ما وردَ في العِقد ونهاية الأرب وصبحِ الأعشى والمجموعِ القديمِ أو نسخةٍ تيمور من اختلاف في اسم صاحبِ الرسالةِ أو النصوصِ المنقولةِ منها، وإنما اعتبروا الأمر شيئاً ثانوياً وانصبَّ همُّهم على النَّصِّ الذي نسبه المحدثون إلى ابن المدبر.

فمن هو أبو اليسرِ إبراهيمُ بنُ محمّدٍ الشيبانيُّ، أو إبراهيم بن محمد الشيبانيّ، ومن هو أبو اليسرِ إبراهيمُ بنُ محمّد المدبر؟ ولماذا أحجمَ ابنُ عبدِ ربّهِ ومن نقلَ عنه من نعتِ صاحبِ الرسالةِ باللّقب الذي عُرِفَ به وهو (المدبر)، مع أنَّ ابنَ عبدِ ربِّه لقّب أخاه أحمدَ بن المدبر بهذا اللقب؟[1].

وتقدّمَ أنَّ كُنيةَ إبراهيمَ بن المدبّرِ هي أبو إسحاق، ولم يكنْ معروفاً بكنيةٍ أخرى، وتقدّمَ كذلك أنَّ ابنَ المدبرِ كان يلقّبُ بالضّبيّ وبابن المدبّر، وليسَ هناكَ في أخباره ما يشيرُ إلى أنّه انتمَى إلى شيبانَ.

وليسَ في أخباره التي وقفنا عليها ما يشيرُ إلى صلتِه برجلٍ يسمى إبراهيمَ بنَ محمّدٍ الشيبانيِّ. هذهِ كلها حقائقُ كان ينبغي أنْ لا تُغفلَ أو تُهملَ، لأنها من صُلْبِ منهج البحث وتحقيقِ النصوص!.

ثُمَّ من هو أبو اليسرِ إبراهيمُ بنُ محمّدٍ الشيبانيُّ؟ هلْ هو أحدُ رجالِ

---

(١) ينظر: العقد الفريد ٣/٢٣٤، ٤/١٧٠.

القرنِ الثاني أو الثالث؟، وهل جاء اسمه مرتبطاً فقط بالنُّقولِ التي ذكرَها ابنُ عبدِ ربِّه من رسالته؟.

الحقُّ أنَّ ابنَ عبدِ ربِّه كرّرَ هذا الاسم في أكثرَ من موضع من نقوله من الرسالة، وأنه نقل أخباراً أخرى عن الشيبانيّ لا تمتُّ إلى الرسالة بصلةٍ، وكانَ يقدّم لها بقوله: (إبراهيمُ الشيبانيُّ قال...)[1]، (وقال إبراهيمُ الشيبانيُّ)[2]، والأخبارُ التي ذكرَها تتناولُ قصصَ الأعرابِ أو أبا دلامةَ أو بهلولاً المجنونَ، أو غيرَ ذلك. ولعلَّ أهمَّ ما في هذه الأخبارِ ما يتعلّقُ ببهلولٍ، فقد جاء فيه: (وقال إبراهيمُ الشّيبانيُّ: مررتُ ببهلولٍ المجنونِ وهو يأكلُ خبيصاً، فقلت: أطعِمْني، قال: ليسَ هو لي، إنّما هو لعاتكةَ بنتِ الخليفةِ بَعثتْه إليَّ لآكلَه)[3].

وجديرٌ بالإشارةِ إلى أنَّ بهلولاً هذا توفي سنة ١٩٠ هـ[4]، وإذا صحَّ هذا فمعنى ذلكَ أنَّ إبراهيمَ الشَّيبانيَّ هذا كانَ موجوداً قبلَ وِلادة إبراهيمَ بنِ المدبر ـ كما تقدَّمَ ـ.

وفي العقد نصٌّ آخرُ مهمٌّ منقولٌ عن إبراهيمَ بنِ محمّدٍ الشَّيبانيِّ هذا يَتعلَّقُ بافتتاحِ الرسائلِ جاءَ فيه:

(لم تَزلْ الكتب تُسْتَفتَح باسمِكَ اللَّهمَّ حتّى أُنزلتْ سُورةُ هودٍ وفيها... فكتب بسم الله، ثم نزلت...)[5]. وأهميةُ هذا النَّصِّ تتجلَّى في كونهِ غيرَ موجودٍ في الرسالةِ العَذراءِ، فهل يعني هذا أنه نصٌّ آخرُ لا صلةَ له بالرسالة، أو أنَّ الرسالةَ المنشورةَ سقطَ منها شيء. وأنَّها كانتْ

---

(١) العقد الفريد ١/١٨٦ ـ ١٨٧، ٢٥٩، ٢٦٠.
(٢) نفسه ٣/٣٥، ٦/١٥١.
(٣) نفسه ٦/١٥١.
(٤) ينظر: الأعلام ٢/٥٦.
(٥) العقد الفريد ٤/١٥٨، وينظر: صبح الأعشى ٦/٢١٩.

أطولَ مما نشر منها؟ أو أنَّ هناكَ كتاباً بهذا المعنى، وأنَّ ابنَ عبدِ رَبِّهِ اقتطعَ منه ما شاءَ وما وافقَ غرضه؟.

ومن المهمِّ جداً أنْ أُشيرَ إلى أنَّ هناكَ من سُمِّيَ بإبراهيمَ بنِ محمّدٍ، وكُنِّيَ بأبي اليُسرِ، ولُقِّبَ بالشَّيبانيِّ، فقد تَرجمَ له صاحبُ الأعلام بما هذا نَصُّه:

الشّيباني: ٢٢٣ ـ ٢٩٨ هـ / ٨٣٨ ـ ٩١١ م:

إبراهيمُ بنُ محمّدٍ الشّيبانيُّ، أبو اليسرِ، ويُعرَفُ بالرياضيِّ الكاتبِ: أديبٌ، أصلُه من بغدادَ، واستقرَّ في القيروانِ، فترأَّسَ ديوانَ الإنشاءِ لِبني الأغلبِ ثُمَّ لِلفاطميينَ إلى أنْ توفيَ. من كتبه: (سراج الهدى) في معاني القرآن وإعرابه. و(مسند) في الحديث، و(قطب الأدب)، و(لقط المرجان) في الأدب[1].

وبعدُ؛ فلمن تصحُّ نسبةُ هذه الرسالةِ؟ واضحٌ أنّ النسبةَ تَترجَّحُ بينَ اثنين هما: الشَّيبانيُّ وابنُ المُدبّرِ، ويبدو أنْ ليس لهما شريكٌ ثالثٌ فيها، فإذا صحَّ هذا، فمن هو صاحبُها، أو لمن منهما تَرْجُح هذهِ النسبةُ؟.

الحقُّ أننا لا نريدُ أنْ نَبتَّ في هذا الأمرِ أو القطعِ به، فالأمر ليسَ بهذه السهولة، ولكنْ نَرى أنْ نضعَ بعضَ الحقائقِ بينَ يديْ القرَّاء لينطلقوا منها في الحكم أو الترجيحِ.

١ ـ ذكرنا أنَّ ابنَ عبدِ ربّهِ نَقلَ أخباراً عن الشّيبانيِّ غيرَ ما نقلَه من فقراتٍ كثيرةٍ من هذهِ الرسالةِ، ومنها خبرُ مرورِ الشّيبانيّ ببهلولِ المجنونِ، الذي توفيَ في سنة ١٩٠ هـ، وتقدَّمَ أنَّ الشَّيبانيَّ الذي ترجمَ له الزّركلي قد وُلِدَ في سنة ٢٢٣ هـ، وهذا يعني أن ولادتَه كانتْ بعدَ

(١) الأعلام ١/٥٧، ومن الجدير بالذكر أنّ مصدر الزركلي ـ كما يقول ـ كتاب صدور الأفارقة وهو مخطوط.

وفاةِ البهلولِ بمدّةٍ طويلةٍ، كما أنَّ ولادةَ ابنِ المدبّرِ كانتْ بعدَ وفاةِ البهلولِ بعشرِ سنينَ أو أكثرَ.

٢ ـ في الرسالة أعلامٌ ذكرَ صاحبُها السماعَ منهم أو الكتابةَ إليهم:

فمما جاءَ من ذلك قولُه: (فإنّي سَمِعْتُ جعفرَ بنَ محمّدٍ الكاتبَ يقول...)[١]. وقولُه: (سمعتُ سعيدَ بنَ حُمَيْدٍ الكاتبَ: يقول...)[٢].

وقولُه: (وسألني بعضُ أهلِ العلمِ أنْ أكتبَ له قِصّةً إلى جعفرِ بنِ عبدِ الواحد القاضي... فكتبتُ له قِصَّةً لا تصلحُ...)[٣].

وأكبرُ الظَّنِّ أنَّ هؤلاءِ الرجالَ كانوا في جُملةٍ من اتّصلَ بهم ابنُ المدبّر أو اتصلوا به، وقد تقدَّمتْ علاقته بسعيد بنِ حُميدٍ، ويظهرُ أن صلته بالرجلينِ الآخرينِ كانتْ وطيدةً أيضاً.

٣ ـ ليسَ لَدينا ما يُشيرُ إلى أنَّ الشَّيبانيَّ قد اتّصلَ بواحدٍ من هؤلاءِ الأعلام، فسمعَ منهم أو كتبَ إليهم، اللَّهم إلَّا إذا كانَ هناكَ شيبانيٌّ آخرُ غيرُ الذي ذكرَه صاحبُ الأعلامِ.

* * *

تشيرُ مقدّمةُ الرسالة إلى أنَّ أحدَهم طلبَ إلى صاحبها إنشاءَها، ولا

---

(١) جمهرة رسائل العرب ٢٠٩/٤٠. جعفر بن محمد: هو جعفر بن محمد بن خالد ابن ثوابة أحد الكتاب البلغاء الفصحاء، صاحب ديوان الرسائل توفي سنة ٢٨٤ هـ. (تاريخ بغداد ١٧٣/٧ ـ ١٧٥).

(٢) جمهرة رسائل العرب ٢١٧/٤. سعيد بن حميد: هو سعيد بن حميد الكاتب الشاعر ورئيس ديوان الإنشاء في عهد المستعين، توفي بعد سنة ٢٦٥ هـ، عن (رسائل سعيد بن حميد وأشعاره).

(٣) جمهرة رسائل العرب ٢٢٩/٤ ـ ٢٣٠. جعفر بن عبد الواحد: هو جعفر بن عبد الواحد ولي قضاء القضاة بسر من رأى في سنة ٢٤٠ هـ، وعزل عن القضاء في سنة ٢٥٠ هـ، وتوفي في سنة ٢٥٨ هـ. (معجم الأدباء ١٨٧/٧).

ندري إنْ كانَ هناكَ شخصٌ حقيقيٌّ قد طلَبَ ذلك، أو أنَّ مُنشئَها جرَى في هذا على ما جرَى عليهِ سواهُ من ادِّعاءِ مثلِ هذا الطلبِ في مقدّمات رسائلِه وكتبِه.

لقد ذكرَ مؤلّفُ الرسالةِ في مقدّمتِها إلى ما طُلِبَ منه وهو الكتابةُ في موازينِ البلاغةِ وأدواتِ الكتابةِ، فقال:

(بسمِ اللّهِ الرّحمنِ الرّحيمِ: فتقَ اللّهُ بالحِكمة ذهنَك، وشرحَ بها صدرَك، وأنطقَ بالحقِّ لسانَك، وشرَّفَ به بيانَك. وصَلَ إليَّ كتابُك العجيبُ الذي استفهمتني فيهِ ـ بجوامعِ كلمِك ـ جوامعَ أسبابِ البلاغةِ، واستكشَفتَني عن غوامضِ آدابِ أدواتِ الكتابةِ: سألتَني أنْ أقِفَ بكَ على وَزْنِ عُذوبةِ اللفظِ وحلاوتِه، وحدودِ فخامةِ المعنَى وجزالتِه، ورشاقةِ نَظْمِ الكتابِ، ومُشاكلةِ سَرْدِه، وحُسْنِ افتتاحِه وخَتْمِه، وانتهاءِ فُصولِه، واعتدالِ وُصولِه، وسلامتِهما من الزَّللِ، وبُعْدِهما من الخَطَلِ، ومتَى يكونُ الكاتبُ مُستحقّاً اسمَ الكتابةِ، والبليغُ مُسلَّماً له مَعاني البلاغةِ، في إشارتِه واستعارتِه، وإلى أيِّ أدواتِه هو أحوجُ، وبأيِّ آلاتِه هو أعمَلُ، إذا حَصحَصَ الحقُّ، ودُعِيَ إلى السَّبْقِ، وفهمتُه)[1].

إنّ ما في الرسالة من الأخبار وأسماء الأعلام ـ وهي ليست قليلةً ـ تدلُّ على أن كتابتَها لم تَتعدَّ القرنَ الثالثَ الهجريَ، وتقدَّمَ أنَّ ابنَ المدبّر والشّيبانيَّ كانا من رجالِ هذا القرنِ أيضاً.

كما جاءَ فيها ما يدلُّ على أنَّ مؤلّفَها قد نهضَ بالعملِ وهو يعاني أموراً كثيرةً غيرَ مريحةٍ. جاءَ فيها:

(وأنا راسمٌ لكَ ـ أيّدَكَ اللّهُ ـ من ذلك ما يجمعُ أكثرَ شَرائطكَ، ويُعبّرُ عن جُملةِ سؤالِك، وإنْ طوَّلتُ في الكتابِ وعرَّضتُ، وأطنبتُ في الوصفِ

(١) جمهرة رسائل العرب ٤/١٩٩ ـ ٢٠٠.

وأسهبتُ، ومُستَقْصٍ علَى نفسي في الجوابِ، على قدْرِ استقصائكَ في السؤالِ، وإنْ أخلَّ بهِ التِياثُ الحالِ، وسكونُ الحركةِ، وفتورُ النَّشاطِ، وانتشارُ الرويَّةِ، وتقسُّمُ الفِكْرِ، واشتراكُ القلبِ، واللَّهُ المُستعانُ)[1].

وتقدَّمَ أنَّ ابنَ المدبّر تعرَّضَ إلى شيءٍ من اختلال الحال في فترة من حياتِه، فهلْ يعني هذا أنَّه ـ إذا صحّتْ نسبةُ الرسالةِ إليه ـ كتبها في غضونِ أيّامِ نكبتِه، أو بعدَها بقليل؟.

* * *

إنَّ من يقرأ الرسالةَ يجد أنَّ صاحبَها قد تأثَّرَ في بعض أجزائها وخاصةً فيما يتّصلُ بدورِ اللفظِ والمعنى فيها بالبيانِ والتبيين للجاحظ، بل إنَّ الرجل قد نظرَ طويلاً في كتابِ الجاحظ هذا، فنقلَ منه فقراتٍ نقلاً تاماً، واختزلَ في بعضِ الأحيانِ واقتضبَ ما بسطه أبو عثمانَ في مؤلَّفه المذكور.

وقد أشارَ الدكتور زكي مبارك إلى بعض تلك النُّقولِ[2]، كما نبّهَ أحمد زكي صفوت إلى بعضٍ آخرَ منها[3].

* * *

والحديثُ عن أُسلوبِ الرسالةِ العذراءِ، أو أسلوبِ ابنِ المدبّرِ فيها باعتبارِها أطولَ ما وصلَ إلينا من نثره على قِلّتِه، يَدعونا إلى استحضارِ خصائصِ مدرسةِ الجاحظِ النّثريّةِ والتي من أهمِها:

(تَقطيعُ الجملةِ إلى فقراتٍ كثيرةٍ مقفَّاةٍ أو مرسلةٍ، وزيادةُ الإطنابِ في الألفاظِ والجُمل... وتحليلُ المعنى واستقصائِه، وتحكيمُ العقلِ والمنطقِ، والاعتراضُ بالجمل الدُّعائية)[4].

---

(١) جمهرة رسائل العرب ٤/٢٠٠.

(٢) ينظر: الرسالة العذراء ٣٤، ٤٢، ٤٤، ٤٦، ٤٧ (الهوامش).

(٣) ينظر جمهرة رسائل العرب ٤/٢٣٢، ٢٣٧، ٢٣٨، ٢٣٩ (الهوامش).

(٤) تاريخ الأدب العربي للزيات ٢١٧ ط ٢٥.

إنَّ الرسالةَ المذكورةَ انطوتْ على كثيرٍ من هذهِ الخصائص ، ولا غَرْوَ فإنّ ابنَ المدبّر كانَ صديقاً حميماً للجاحظ، ومُعجباً بأدبهِ، وتقدَّمَ أنَّه تأثّرَ كثيراً بكتابِ البيان والتبيين، ويظهرُ أنَّ هذا التأثّر جاوزَ حدودَ النّقلِ إلى الأسلوبِ، حتّى لأكادُ أذهبُ إلى أنَّ من يقرأ الرسالةَ هذه فكأنَّه يقرأ في كتاب الجاحظ الآنفِ الذكرِ!.

ولِلتدليلِ على ما ذكرتُه أرى أنْ أتمثّلَ بنموذجينِ من نثرِ ابن المدبّر، أحدهما من رسالتِه، والآخرُ ممَّا أُثِرَ له في أحدِ أصدقائِه، قال:

(وكلَّما احلَولَى الكلامُ وعذُبَ ورقَّ وسَهُلتْ مخارجُه، كانَ أسهلَ وُلوجاً في الأسماعِ ، وأشدَّ اتّصالاً بالقلوبِ، وأخفَّ على الأهواءِ، ولا سيّما إذا كانَ المَعنى البَديعُ مُترجَماً بلفظٍ مُونقٍ شريفٍ، ومُعبَّراً بكلامٍ مؤلَّفٍ رَشيقٍ، لَم يَشِنْه التكلُّفُ بمِيسمِه، ولم يُفسدْه التعقيدُ باستهلاكه)[1] وكتب إلى أحدهم قائلاً:

(ذكرتَ ـ جَعلني اللّهُ فداءَك ـ خوفَك إملالي، والزّيادةَ في أشغالي بكثرةِ كُتبكَ، فأقول: أخي، قُدّمتُ قبلك، لم أُرزَقْ ـ فيما قلتَه ـ عدلَك، هلْ يملُّ الروحُ جسدَه؟ والجسدُ جوارحه؟ والجوارحُ سلامتها، والسَّلامةُ دوامَها؟ ظلمتَني ـ عفا اللّهُ عنكَ ـ فأمَّا الشغلُ فيكَ ولكَ فإنّه غيرُ منقطعٍ بذكرِك، والفكرِ فيكَ، والشوقِ والنِزاعِ إليكَ، والخوضِ والإفاضةِ في محاسنك. . .)[2].

* * *

(١) جمهرة رسائل العرب ٤/٢٢٧. والجدير بالذكر أنّ الجاحظ يقول في هذا المعنى: (وأحسنُ الكلامِ ما كانَ قليلُه يُغنيكَ عن كثيره، ومعناهُ في ظاهرِ لفظِه، وكانَ اللّهُ عزَّ وجلَّ قد ألبسَه من الجَلالةِ، وغشّاهُ من نُورِ الحكمة على حَسَبِ نيّةِ صاحبِه، وتقوَى قائله. فإذا كانَ المعنَى شريفاً، والنفطُ بليغاً، وكانَ صحيحَ الطَّبْعِ ، بعيداً من الاستكراه، ومنزّهاً عن الاختلالِ ، مَصوناً من التكلّفِ، صنعَ في القلوبِ صنيعَ الغيثِ في التربة الكريمة). البيان والتبيين ١/٨٣.

(٢) الصداقة والصديق ٤٤٣.

وممّا لحظتُه في هذه الرسالةِ ميل صاحبها أحياناً إلى تكرارِ اللفظِ والمعنى، ولعلَّه كان يتوخّى من ذلك التأكيدَ فيما كانَ يدعو له، ويذهبُ إليه في هذه الرسالة، من ذلك قوله: (بعدَ أن يكونَ الكاتبُ صحيحَ القَريحةِ، حُلْوَ الشمائلِ، عَذْبَ الألفاظِ، دَقيقَ الفَهْمِ، حَسَنَ القامةِ، بعيداً من الفَدامةِ، خفيفَ الرُّوحِ، حاذِقَ الحِسِّ، مُحَنَّكاً بالتجربةِ، عالماً بحلالِ الكِتابِ والسُّنَّةِ وحرامِهما، وبالملوكِ وسيرِها وأيّامِها، وبالدُّهورِ في تقلّبِها وتداوُلِها، معَ براعةِ الأدبِ، وتأليفِ الأوصافِ، ومُشاكلةِ الاستعارةِ، وحُسْنِ الإشارةِ، وشرحِ المعنى بمثلِهِ من القولِ، حتّى تنصَبَّ صُوَراً منطقيَّةً تُعربُ عن أنفسِها، وتدلُّ على أعيانها، لأنّ الحكماءَ قد شرطوا في صفاتِ الكتّاب: اعتدالَ القامةِ، وصِغَرِ الهامةِ، وخِفَّةَ اللَّهازِمِ، وكَثافةَ اللِّحيةِ، وصِدْقَ الحِسِّ، ولُطفَ المذهبِ، وحلاوةَ الشمائلِ، وخفةَ الإشارةِ، ومَلاحةَ الزِّيِّ، حتّى قالَ بعضُ المهالبةِ لولده: (تَزَيَّوا بزِيِّ الكتّاب، فإنَّ فيهم أدبَ الملوكِ، وتواضُعَ السُّوقة).

ومن كمالِ آلةِ الكتابةِ: أنْ يكونَ الكاتبُ بهيَّ المَلْبَسِ، نظيفَ المجلسِ، ظاهرَ المروءةِ، عَطِرَ الرائحةِ، دقيقَ الذهنِ، صادقَ الحسِّ، حَسَنَ البيانِ، رَقيقَ حواشي اللِّسانِ، حُلوَ الإشارةِ، مَليحَ الإستعارةِ، لطيفَ المسْلكِ، مُسْتَفْرَهَ المَركَبِ، ولا يكونُ مع ذلكَ فَضْفاضَ الجُثَّةِ، مُتفاوتَ الأجزاءِ، طويلَ اللِّحيةِ، عظيمَ الهامةِ؟ فإنَّهم زعموا أنَّ هذه الصورةَ لا يليقُ بصاحبها الذكاءُ والفِطنةُ)[1].

وواضح أنَّ في هذه الفقراتِ الكثيرَ من الألفاظ والمعاني المكرّرة، وكان بالإمكانِ الاستغناء عن بعضها، والتَّركيزُ على المطلوبِ من الأمر.

وقوله:

(إذا احتجتَ إلى مخاطبةِ الملوكِ والوزراءِ والعلماءِ والكتّابِ والخطباءِ

---

(١) جمهرة رسائل العرب ٤/٢٠٢ ـ ٢٠٣.

والأدباءِ والشعراءِ وأوساطِ الناسِ وسُوقتِهم، فخاطبْ كُلًّا على قدرِ أُبهته وجلالتِه، وعلوِّه وارتفاعه، وتفطّنِه وانتباهِه...)[1]، ثم يقول في المعنى نفسه:

(ولكل طبقة من هذهِ الطبقاتِ مَعانٍ، ومذاهبُ يجبُ عليك أن تراعيَها في مراسلتك إيَّاهم في كتبِك، فتزِنَ كلامَك في مخاطبتِهم بميزانِه، وتُعطيَه قِسْمه، وتوفّيَه نصيبه...)[2]، ثم يكرّرُ المعنى ذاتَه في موضعٍ ثالثٍ فيقول:

(ولكلِّ مكتوبٍ إليهِ قَدْرٌ ووزْنٌ ينبغي للكاتبِ أنْ لا يتجاوزَ به عنه، ولا يقصّر بهِ دونَه...)[3].

وممّا جاءَ في الرسالةِ قول مؤلفها: (وانظرْ إلى سَلاسة الحسنِ بن سهلٍ حيثُ قالَ:

شَرِستَ بلْ لِنْتَ بلْ قابلتَ ذاكَ بذا
فأَنتَ لا شكَّ فيكَ السَّهْلُ والجَبَلُ)[4]

والمعروفُ أنَّ البيتَ لأَبي تمّامٍ، وهو من قصيدةٍ له في مدحِ المعتصم[5].

* * *

وتنتهي الرسالةُ بفقرتينِ، وهما:

---

(١) نفسه ٤/٢٠٣.
(٢) نفسه ٤/٢٠٤.
(٣) جمهرة رسائل العرب ٤/٢٠٧، وينظر نماذج أخرى من هذا التكرار في المرجع نفسه ٤/٢٠٤ ـ ٢٠٥، ٢١٣، ٢٢٠، ٢٢١.
(٤) نفسه ٤/٢٢٨.
(٥) ديوان أبي تمام ٣/١١، وفيه: (بل قانيت).

(وقالَ الخليلُ بنُ أحمدَ: كلُّ ما أدَّى إلى قضاءِ الحاجةِ فهو بلاغةٌ، فإنْ استطعتَ أنْ يكونَ لفظُكَ لمعناك طِبْقاً، ولتلكَ الحالِ وَفْقاً، وآخرُ كلامِك لأوَّلِه مُشابهاً، ومواردُه لِمَصادرِه مُوازِناً فافعلْ، واحرِصْ أنْ تكونَ لكلامك متّهماً وإنْ ظَرُفَ، ولنظامِك مُستريباً وإنْ لطُفَ، بمواتاةِ آلتِك لك، وتصرّفِ إرادتِك معَك، فافعلْ إنْ شاء الله.

وهذهِ الرسالةُ عذراءُ؛ لأنها بِكْرِ معانٍ لم تفترعْها بلاغةُ الناطقينَ، ولا لَمَستْها أكُفُّ المفوّهينَ، ولا غاصَتْ عليها فِطَنُ المتكلمينَ، ولا سبقَ إلى ألفاظها أذهانُ الناطقينَ، فاجعلها مثالاً بينَ عينيك، ومصوَّرةً بينَ يديك، ومسامِرةً لكَ في ليلِك ونهارِك، تَهطُلْ عليكَ شآبيبُ منافعِها، ويُظلَّك منها بركاتُها، وتُوردكَ مناهلَ بلاغتها، وتدلّك على مَهْيعِ رشدِها، وتُصدرك وقد نُقِعَ ظمؤك بينابيعِ بحرِ إحسانِها إنْ شاءَ اللّهُ عزَّ وجلَّ، والحمدُ للّهِ وحدَه، وصلّى اللّهُ على سيّدنا محمّدٍ وعلى آله وصحبهِ وسلّمَ)[1].

وأغلب الظّنِّ أن الفقرةَ الثانيةَ التي تبدأ بعبارة: (وهذه الرسالةُ عذراءُ) ليستْ من أصلِ الرسالة، وإنما هي مقحمةٌ عليها، ولا يبعدُ أنْ يكون ذلك في عملِ أحدِ النّساخِ المعجبينَ بها، ويظهرُ أنه عمدَ إلى مجاراة أسلوب المؤلف، فجاءت عباراتُه قويَّةً تحاكي عباراتِ الرسالة.

أمَّا الذي يحملنا على هذا الشَّكِّ، وهذا الظـنِّ فأسبابٌ، منها: أنّنا لم نَعْتَدْ أنْ نجدَ في أعقابِ الرسائلِ إطراءَها من قِبَلِ أصحابها، كما نجدُ في هذه الرسالةِ.

ومنها:

أننا نشكُّ في انزلاقِ ابنِ المدبّرِ أو تبجّحه في إطراءِ هذه الرسالةِ، وهو يَعْلَم ونحن نعلمُ كذلك، أنّه نظرَ في كتبِ الآخرينَ وخاصةً الجاحظَ ـ كما تقدّمَ ـ.

---

(١) الجمهرة ٤/٢٤١.

ومنها:

أن هذهِ الفقرةَ الأخيرةَ تكادُ تكونُ نافرةً عن مضمونِ الرسالةِ، وأنَّ موقعَها قَلِقٌ مضطربٌ.

ومنها:

أنَّ مَن نَقلَ فقراتٍ طويلةٍ من هذهِ الرسالةِ لم يُشرْ إلى هذهِ الفقرةِ الأخيرةِ.

ومنها:

أنَّ الرسالةَ تنتهي بانتهاءِ الفقرةِ السابقةِ لهذه الأخيرةِ. ومعلومٌ أنَّ صاحبَ الرسالةِ قد نَهَج طريقةَ الكتّابِ في ذلك العصرِ بإنهاءِ رسالته بعبارةِ (فافعل، إن شاء اللّه)، وهي طريقةٌ مألوفةٌ معروفةٌ، وقد وصلتْ إلينا رسائلُ كثيرةٌ تنتهي بما انتهت به الرسالة العذراء[1].

وعلى الرغمِ من كلِّ ما تقدّمَ، فإنَّ لهذهِ الرسالةِ أهميةً كبيرةً، لأنَّها رائدةٌ في صناعةِ الكتابة[2]، بل لعلَّها تخرج من حدودِ الرسائل، إلى صنفِ المؤلفات، إنّها كُتيِّبٌ رصينٌ بليغٌ في فنّ صناعة النثر.

شِـعـــرُه:

يظهرُ أنَّ ميلَ ابنِ المدبّرِ إلى الشعرِ لم يكن بأقلَّ منهُ إلى النثرِ، بل لعلَّ اهتمامه به أكثرُ، وهو به أعرفُ وأشهرُ، ومن أجلِ هذا فقد وصلَ إلينا من شعره أكثَر مما وصلَ إلينا من نثره. وقد حَفَلتْ ترجماتُه بشعره أكثَر مما حَفَلَتْ بنثرِه. ولهذا قلَّتْ نماذجُ نثرِه في تلك الترجماتِ، وكثرتْ النماذجُ الشعريّةُ فيها.

---

(١) للوقوف على نماذج من انتهاء الرسائل ـ كما انتهت به الرسالة العذراء ـ يحسن الرجوع إلى جمهرة رسائل العرب، وعلى سبيل المثال لا الحصر، ٣/١٠، ١٠٧، ١٠٩، ١٢٤، ١٤٩، ١٦٤، ١٧٤، ١٧٥، ١٨٣. ٤/٨، ٧٥، ١٨١، ١٨٢، ١٩١.

(٢) ينظر: تاريخ الأدب العربي لبروكلمان ٢/١١٧.

ولا نعرفُ على وجهِ الدِّقةِ متىٰ بدأ يقولُ الشعرُ، وإنْ كنا قد وقفنا على حفظه نماذج منه في حداثته ـ كما تقدَّمَ ـ.

غيرَ أنا نعرفُ من أخباره أنَّ هناك مجالاتٍ غيرَ قليلة كانتْ تَستدعي قولَ الشعرِ. ويبدو أنَّه بدأ يتكسّبُ به في أوّلِ الأمر، إذا صحَّ ما جاءَ في الأغاني عن ابن المدبر نفسه الذي قال: (كنتُ وإبراهيمُ بنُ العبّاسِ رفيقين نتكسّب بالشعر...)[1]، ولا نعرف الأشخاصَ الذينَ قصدَهم بهذا اللونَ من الشعر، ولكنا نعلم أنَّه امتدحَ ولاةَ عهودِ المتوكّلِ، كما مدحَ المتوكل حين ألمّ به مرض خطير، ومدح محمد بن عبد الله بن طاهر في أيّام نكبته.

وأشار أبو الفرجَ إلى شعرِ إبراهيمَ هذا قائلاً:

(قرأتُ على ظهرِ دفترٍ فيه شعرُ إبراهيمَ بنِ المدبّر أهداه مجموعاً إلى أخيهِ أحمدَ، فلما وصل إليهِ قرأه وكتبَ عليه بخطه:

أبا إسحاقَ إنْ تكنِ اللَّيالي عَطفْنَ عليكَ بالخَطْبِ الجسيمِ
فلَمْ أرَ صَرْفَ هذا الدَّهرِ يَجري بمَكروهٍ علَى غيرِ الكريمِ)[2]

(١) ٢٠/١٨٣. من الجدير بالذكر أن أبا الفرج روى الخبر بصورة أخرى عن ابن المدبّر نفسه فقال: (وقال محمد بن داود، حدثني محمد بن القاسم قال: حدثني إبراهيم ابن المدبر قال: حدثني إبراهيم بن العباس ـ قال: حدثني به دعبل أيضاً فكانا متفقين في الرواية ـ قال: كنا نطالب جميعاً بالشعر...). وينظر: بدائع البدائه ١٧٦، فقد جاء فيه أيضاً مثل هذه الرواية.

(٢) الأغاني ٢٢/١٧٧ مما يجدر ذكره أن ياقوت الحموي روى خبراً في هذا الشأن عن الجهشياري قال فيه: (رأيت دفتراً بخط إبراهيم بن العباس الصولي فيه شعره، قال في حبس موسى بن عبد الملك إياه يصف غلظ ما فيه من الحبس وثقل الحديد والقيد، ويذكر موسى في شعره... وقد كتب أحمد بن مدبر بخطه في ظهر هذا الدفتر...) ١/١٩٦، وينظر: الطرائف الأدبية ١٨٨ فقد نقل محقّق ديوان إبراهيم الصولي الخبر عن معجم الأدباء، وجعله في جملة ما ذيّل به الديوان.

وهذا وهم من الجهشياري وياقوت ومحقق الطرائف، لأن الأبيات التي ذكرت في هذا الخبر من جملة أبيات قصيدة لابن المدبر قالها في الحبس.

ومعنى هذا أنّ الرجلَ بعد أنْ تجمّعَ لديه شيءٌ كثيرٌ من الشعرِ ارتأى جمعَه في دفترٍ أو ديوانٍ وأهداه إلى أقربِ الناسِ رحماً إليه وهو أخوه. ومعنى هذا أيضاً أنَّ شعره أو ديوانه كان معروفاً بحيث استطاع أبو الفرج في القرن الرابع الاطلاع عليه، وربّما استعانَ به في ترجمته لإبراهيم، ولعلّ النماذجَ الكثيرة التي انفرد بها أبو الفرج هي من ذلك الدفتر أو الديوان.

وأكبرُ الظنّ أنّ هذا المجموعَ ليسَ كلَّ ما أُثِرَ له من شعرٍ، ويظهرُ أنّه جمعَه وهو في حبس المتوكّل، وبَيتا أخيهِ شاهدٌ على ذلك، وإذا صحّ هذا، فلا بُدَّ أنْ يكونَ لابنِ المدبّر شعرٌ آخر كثيرٌ لم يضمَّه إلى هـذا المجموعِ؛ لأنَّ الرجلَ عاشَ بعدَ خروجِهِ من حبسِ المتوكّلِ حقبةً من الزمن تُنيّفُ على ثُلُثِ قرنٍ.

غيرَ أنَّ ابنَ النديمِ أشارَ في الفهرست إلى شيءٍ آخرَ يَلفتُ النظرَ، فقد ذكر شعرَ أحمد بن المدبرِ فقال:

(أحمدُ بنُ محمّدٍ المدبّرُ سبعونَ ورقةً)[1]، ثمَّ ذكرَ في موضعٍ آخرَ ضمنَ أسماءِ الشعراءِ الكتّابِ الذين ذكرهم ابنُ حاجب النعمانِ في كتابه شعرَ ابني المدبّر أحمد وإبراهيمَ فقال:

(أحمدُ بنُ المدبّرِ أبو الحسنِ خَمسونَ ورقةً، إبراهيمُ بنُ المدبّـرِ مقلّ)[2].

ويُخيَّلُ إلينا أنَّ في روايةِ ابنِ النديم شيئاً من عدمِ الدقّةِ، وقد لا يستبعدُ أنْ يكونَ الأمرُ قد اختلطَ عليه في تقديرِ شعرِ الآخرين، فجاءت روايتُه مضطربةً، وغيرَ دقيقةٍ. ونحنُ نرَى أنَّ الأمرَ معكوسٌ فيمـا يتّصلُ بمقدارِ شعريهما، وذلك لأسبابٍ عدّةٍ:

---

(١) الفهرست ٢٤١.

(٢) نفسه ٢٤٢.

منها: أنَّ ترجمةَ إبراهيمَ في المصادر كانت أوسعَ من ترجمةِ أخيهِ، وأنها أكثرَ اشتمالاً على النماذجِ الشعرية التي تُمثِّلَ بها من شعره ممّا في ترجمة أخيهِ.

ومنها: أنَّ اهتمامَ إبراهيمَ بالشعرِ وتعاطيَه له كانا أكثرَ مما لدى أخيهِ.

ومنها: أنه كان يستخدم شعره في التكسب، كما كانَ يمتدحُ به ولاةَ الأمورِ.

ومنها: أنَّ إبراهيم أكثرُ اتصالاً ـ كما تشير أخباره بالجواري، وأنه عُرِفَ بصلته القويّة بواحدةٍ منهنَّ حتّى كانت له معها أخبارٌ معروفةٌ، وكان جزءٌ كبيرٌ ممّا وصلَ إلينا من شعرِه قد قيلَ في علاقته بهذه الجارية.

ومنها: أنّه تعرّضَ إلى الحبسِ، الذي أوحَى له بشعرٍ كثيرٍ معروف.

ومنها: أنَّه جمعَ شعره في دفتر، وهذا معناه كثرة هذا الشعر، وحرص صاحبه عليه من الضَّياعِ.

ومنها: أنَّ ما وصلَ إلينا من شعرِه يفوقُ كثيراً ما وصل إلينا من شعر أخيه[1].

إنَّ ما استطعنا جمعَه من شعرِ إبراهيمَ هو تسعٌ وأربعونَ قصيدةً ومقطوعةً تقعُ جميعها في (٢٦٤) مائتينِ وأربعة وستينَ بيتاً.

ولا شكَّ في أنَّ ما وصلَ إلينا من شعرِه قليلٌ بالقياسِ إلى ما يجب أن يكون عليه شعره للأسبابِ الآنفةِ الذكرِ.

فلم يصل إلينا شيءٌ كثيرٌ من شعرِه في حبسه الذي قال عنه أبو الفرج: (ولإبراهيمَ في حبسهِ أشعارٌ كثيرةٌ مختارةٌ)[2]، كما فُقِدَ شيءٌ كثيرٌ

(١) من الجدير بالإشارة أن ما وقفنا عليه من شعر أحمد بن المدبر يتألف من ست مقطوعات تقع جميعها في (٢١) واحدٍ وعشرينَ بيتاً.
(٢) الأغاني ٢٢/١٥٩.

من شعره في (نبت) الذي ذكره أبو الفرجِ أيضاً قائلاً: (ولإبراهيمَ في نبتٍ هذهِ أشعارٌ كثيرةٌ. . .)[1].

* * *

إنَّ موهبةَ ابنِ المدبّرِ الأدبيّةَ كانتْ موزَّعةً بين فني الشعر والنثرِ، وقد نجحَ إلى حدٍّ غيرِ قليلٍ في النهوضِ بهذينِ الفنينِ إلى ما يتناسبُ وتلكَ الموهبةَ، فكانت شاعريته جيّدةً، مكّنته من أنْ يرتفعَ بشعره إلى مستوى شعرِ الكتّابِ الذي نرى من المفيدِ الاستئناسَ برأي ابن رشيقٍ فيه، وفي أصحابه، قال:

(والكتّابُ أرقُّ الناسِ في الشعر طبعاً، وأملحُهم تصنيعاً، وأَحلاهم ألفاظاً وأَلطفُهم معانيَ، وأَقدرُهم على تصرّفٍ، وأَبعدُهم من تكلّفٍ. . . وليسَ يلزمُ الكاتبَ أنْ يجاريَ الشاعرَ في أَحكامِ صنعةِ الشعر؛ لِرغبةِ الكتّابِ في حلاوةِ الألفاظِ وطيرانِها، وقلّةِ الكُلفةِ، والإتيانِ بما يخفُّ على النفسِ منها، وأَيضاً فإن أكثَر أشعارِهم إنَّما يأتي تَظرُّفاً، لا عن رغبةٍ ولا رَهبةٍ، فهم مُطلَقون مُخَلَّوْنَ في شهواتِهم، مسامحون في مذهبهم، إذ كانوا إنَّما يصنعون الشعرَ تخيّراً واستظرافاً. . .)[2].

إنَّ أكثرَ ما جاءَ في كلام ابنِ رشيقٍ يصدقُ على شعر ابن المدبّر وشاعريته، ففي شعره صدقُ عاطفةٍ، ولُطفُ معانٍ، وأناقة لفظٍ، وبعدٌ عن التكلّفِ، واقتصادٌ في الصنعة.

ورزق إبراهيمُ شاعريّةً مطواعةً، فكانت تمدُّه بكل ما كان يجولُ في نفسه، ويضطربُ في وجدانه، ولهذا كثرتْ أخبارُ ارتجالِه للشعرِ، وسرعة تجاوبِ شاعريتِه لِلحَدثِ، وكانَ طويلَ النَّفَسِ، ثَرَّ الخيالِ، مغنّاً.

---

(١) نفسه ٢٢/١٦٤.

(٢) ينظر: رسائل سعيد بن حميد وأشعاره ٥٦.

وعلى الرغمِ مما أثرَ له من فنونٍ شعريـة: كالمـديحِ والهجـاءِ والعتاب، فإنَّ غزله وشكواه الذي يمثّله ما قاله في حبسه يقفانِ في مقدّمة ما أثر له من فنون، إنّهما يُمثّلانِ تمثيلاً صادقاً ما انطوتْ عليه مشاعـر الرجلِ وإحسـاساتُـه في حالاتـه المختلفة، من رضـا وغضب، وهـدوء واضطراب، إنّهما صورةٌ حيةٌ صادقةٌ لنفسٍ شاعرةٍ مُتأثّرةٍ[1].

(١) للوقوف على نماذج من غزله وشكواه، يحسن الرجوعُ إلى النّصّ الشعري المثبت في أعقابِ هذه الدراسة.

من الجدير بالذكر أن هناك بحثين كتبا في إبراهيم بن المدبر:

أحدهما: وأقدمهما بحث الأستاذ خالد محسن إسماعيل المنشور في مجلة الأقلام الجزء الحادي عشر ـ السنة الخامسة ١٩٦٩ ص ٣٣، وقد تناول فيه حياة ابن المدبر وأدبه.

والآخر: بحث الدكتور قحطان رشيد التميمي المنشور في مجلة الأستاذ، العدد الثاني ١٩٧٨ ـ ١٩٧٩ وتناول فيه شعر الرجل وشاعريته، ولم يحاول واحد منهما جمع شعر الرجل.

obeikandl.com

obeikandl.com

شعر إبراهيم بن المدبر

ـ أ ـ

ـ ١ ـ

قالَ إبراهيمُ بنُ المدبّر: (مجزوء الرمل)

١ ـ لا تُطِلْ عَذْلي عَناءَ
إنَّ في العَذْلِ بَلاءَ

٢ ـ لَسْتُ أبكي بَطْنَ مُرٍّ
فَكُدَيّاً، فَكَداءَ

.....

التخريج:

الأغاني ٢٢/١٨٤ ـ ١٨٥، وفيه: (... كان إبراهيمُ بنُ المدبّرِ صديقَ أبي الصَقرِ إسماعيلَ بنِ بُلْبُلٍ فلم يرضَ فعلَه لمَّا نُكبَ ولا نِيابتُه عنه، فقال)، كذا جاء الخبر، وأكبر الظن أن هذا غير صحيح؛ لأن ابن الزيات قتل بعد مرور أربعين يوماً من خلافة المتوكل (وفيات الأعيان ٥/٩٩)، وإن حبس إبراهيم لم يكن قد حدث في ذلك الوقت.

التعريف:

٢ ـ بطن مُرّ: من نواحي مكة، عنده يجتمع وادي النخلتينِ، فيصيرانِ وادياً واحداً. =

obeikandl.com

٣ ـ إِنَّـمـا أَبـكـي خَـلـيـلاً
خـانَ فـي الـوُدِّ الـصَّـفـاءَ
٤ ـ يَـا أَبـا الـصَّـقْـرِ سَـقَـاكَ الـ
ـلَّهُ تَـهْـتَـانـاً رَوَاءَ
٥ ـ وَأَدامَ الـلَّهُ نَـعْـمـا
كَ، وَمَـلاَّكَ الـبَـقَـاءَ
٦ ـ لِـمْ تَـجـاهَـلْتَ وِدَادِي
وَتَـنـاسَـيْـتَ الإِخَـاءُ؟
٧ ـ كُـنْـتَ بَـرّاً فَـعَـلَى رَأْ
سِـي تَـعَـلَّمْـتَ الـجَـفَـاءَ
٨ ـ لا تَـمِـيـلَنَّ مَـعَ الـرِّيـ
ـحِ إِذا هَـبَّـتْ رُخَـاءَ
٩ ـ رُبَّـمـا هَـبَّـتْ عَـقِـيـمـاً
تَـتْـرُكُ الـدُّنـيـا هَـبَـاءَ

= كُدَيّ: بأسفل مكة عند ذي طُوىً بقرب شِعب الشافعيين.
كَداء: بأعلى مكّة عند المحصّب.
٤ ـ تهتاناً: التهتان: مطرٌ يفترُ ثم يعود. الرَّواء: من الماء: العذبُ والكثير المُرْوي.
٥ ـ ملاّك: أمتعك.
٩ ـ عقيماً: لا خير فيها.

* * *

- ب -

- ٢ -

وقال: (كامل)

١ ـ كَيفَ السُّرورُ وأَنتِ نَازِحَةٌ
عَنّي، وكَيْفَ يَسوغُ لي الطَّرَبُ
٢ ـ إنْ غِبْتِ غَابَ العَيْشُ وانقَطَعَتْ
أَسْبَابُهُ وأَلَحَّتِ الكُرَبُ

.....

التخريج:

الأغاني ٢٢/١٨١ وفيه: (أخبرني عليّ بنُ العبَّاسِ قال: حدثني أَبي قال: كنتُ عندَ إبراهيمَ بنِ المدبّرِ، فزارتْهُ بِدعةُ وتُحفةُ وأَخرجتا إليه رقعةً من عريبَ فقرأَناها فإذا فيها:

بنفسي أنتَ وسمعي وبصري، وقلَّ ذاكَ لكَ، أَصبحَ يومُنا هذا طيّباً، طيَّبَ اللهُ عيشَك، وقد احتجبتْ سماؤه ورقَّ هواؤه، وتكامل صفاؤه، فكأنه أنت في رِقّة شمائلك وطِيب محضَرك ومخبرك، لا فقدتُ ذلك أبداً منك، ولم يصادفْ حسنُه وطيبُه منّي نشاطاً ولا طرباً لأُمور صدَّتني عن ذلك، أَكره تَنغيصَ ما أَشتهيه لك من السرور بنشرها. وقد بعثتُ إليك ببدعةَ وتحفةَ ليؤنسَاك وتُسرَّ بهما، سرَّك اللّهُ وسرَّني بك، فكتب إليها يقول (البيتان).

وأَنفذ الجواب إليها، فلم يلبث أن جاءتْ، فبادر إليها، وتلقَّاها حافياً حتى جاء بها على حمار مِصريّ كان تحتها إلى صدر مجلسِه، يَطأُ الحمارُ على بساطِه وما عليه، حتى أَخذ بركابها، وأَنزلها في صدر مجلسه وجلسَ بينَ يديها، ثم قال: (البيان رقم «٨»).

* * *

ـ ٣ ـ

وقال: (مديد)

١ ـ زَعَمُوا أَنّي أُحِبُّ عَرِيباً
صَدَقُوا واللَّهِ حُبّاً عَجِيبَا
٢ ـ حَلَّ مِنْ قَلْبي هَواها مَحَلاً
لم تَدَعْ فِيهِ لِخَلْقٍ نَصِيبَا
٣ ـ لِيَقُلْ مَنْ قَدْ رَأَى النَاسَ قِدْماً:
هَلْ رَأَى مِثْلَ عَرِيبٍ عَرِيبَا؟
٤ ـ هيَ شمسٌ والنِّساءُ نُجومٌ
فإذا لاحَتْ أَفَلْنَ غُيُوبَا

.....

التخريج:

الأغاني ٢٢/ ١٧٩، وفيه: (أنشدني الصُّولي ـ رحمه اللّهُ ـ لإبراهيمَ ابنِ المدبّرِ في عريب).

* * *

ـ ٤ ـ

وقال: (وافر)

١ ـ أَحَقُّ النَّاسِ كُلِّهِمُ بِعَيْبِ
مُسِيءٌ لا يُبالي أَنْ يُعَابَا

.....

التخريج:

محاضرات الأدباء ١/ ٣٩١.

* * *

— ٥ —

وقال: (طويل)

١ ـ لَعَمْرُكَ مَا صَوْتٌ بَدِيعٌ لِمَعْبَدٍ
بِأَحْسَنَ عِندِي مِنْ كِتَابٍ عَرِيبِ
٢ ـ تَأَمَّلْتُ في أَثْنَائِهِ خَطَّ كَاتِبٍ
ورِقَّةَ مُشْتَاقٍ، وَلَفْظَ خَطِيبِ
٣ ـ وَرَاجَعَني مِنْ وَصْلِها ما آسْتَرَقَّني
وَزَهَّدَني في وَصْلِ كُلِّ حَبِيبِ
٤ ـ فَصِرْتُ لَها عَبْداً مُقِرّاً بِمِلْكِها
وَمُسْتَمْسِكاً مِنْ وُدِّها بِنَصِيبِ

.....

التخريج:

الأغاني ١٦٢/٢٢، وفيه: (حدّثني جعفرُ بنُ قدامةَ قال:

كتبتْ عَريبُ من سُرَّ مَنْ رأىٰ إلى إبراهيمَ بنِ المدبّرِ كتاباً تتشوّقُه فيه، وتخبرُه باستيحاشِها له، واهتمامِها بأمرِه، وأنها قد سألتْ الخليفةَ في أمره، فوعدها بما تحبُّ، فأجابها عن كتابها، وكتبَ في آخر الكتاب).

والأبيات في نهاية الأرب ١٠٨/٥ عن الأغاني.

التعريف:

٣ ـ نهاية الأرب: (ما استفزّني).

* * *

— ٦ —

وقال: (سريع)

.....

التخريج:

الأغاني ١٦٨/٢٢ وفيه: (قال جعفر (أي ابن قدامة): وغنته يوماً =

١ ـ مَـلَّكْـتُـهُ حَـبْـلي ولـكـنَّـهُ
أَلْـقَـاهُ مِنْ زُهْـدٍ عـلَى غَـارِبـي
٢ ـ وقـالَ إنّـي فـي الـهَـوَى كَـاذِبٌ
فَـآنـتـقَـمَ الـلَّهُ مِـن الـكَـاذِبِ

. . . . . .

= كُراعةُ بِسُرَّ من رأى ونحن حضور عنده: . . .
فزاد فيهما قوله).
والبيان في دلائل الإعجاز ١٥٦، ومعاهد التنصيص منسوبان إلى اليزيدي وفي شعر اليزيديين ٢٠٢ عن دلائل الإعجاز، ومعاهد التنصيص.

التعريف:
٢ ـ في المعاهد: (انتقم).

* * *

ـ ٧ ـ

وقال: (متقارب)

١ ـ قُـلْ لِابـنِ حَمْـدُونَ ذَاكَ الأَرِيـب
وَذَاكَ الـظَّرِيـفِ وَذَاكَ الحَسِيـب
٢ ـ كِتـابي إلَـيـكَ بِشَـكْـوَى عَـرِيب
لِـوَجْـدٍ شَـدِيـدٍ وَشَـوْقٍ عَجِيب

. . . . . .

التخريج:
الأغاني ٢٢/١٦٦، وفيه: (وأخبرني جعفرٌ قال:
زارتْ عَريبَ إبراهيمَ بن المدبّر وهو في داره على الشاطىء في المَطِيرَة واقترحت عليه حضور أبي العُبَيْس فكتبَ إبراهيم).

٣ ـ وَشَـوْقي إليـكَ كَشَـوْقِ الغَـريبِ
إلَى أَرْضِـهِ بَعْـدَ طُـولِ المَغِيبِ
٤ ـ وَيَـوْمِـيَ إنْ أَنـتَ تَـمَّـمـتَـهُ
بِقُـرْبِـكَ ذُو كُـلِّ حُسْنٍ وَطِيـبِ
٥ ـ حَبَـاني الـزَّمـانُ كَـمـا أَشْتَهِي
بِقُـرْبِ الحَبِيبِ وَبُعْـدِ الـرَّقِيبِ
٦ ـ فَـمـا زِلْتُ أَشْـرَبُ مِـن كَـفِّـهِ
وَأَسْـقِيـهِ سَـقْيَ الـلَّطِيفِ الأَدِيـبِ
٧ ـ وَيَـشْـكُـو إلَـيَّ وأَشـكُـو إلَـيـهِ
بِقَـوْلٍ عَفِيفٍ، وَقَـوْلٍ مُـرِيـبِ
٨ ـ إلى أَنْ بَـدا لِيَ وَجْـهُ الـصَّبـاحِ
كَـوَجْهِكَ ذَاكَ العَجِيبِ الغَـرِيبِ
٩ ـ فَـلا تُـخْلِنـا يَـا نـظامَ الـسُّـرو
رِ مِنـكَ فَـأَنتَ شِفـاءُ الكَئِيبِ
١٠ ـ وَغَـنِّ لَـنـا هَـزَجـاً مُـمْسِـكـاً
تَـخِفُّ لَـهُ حَـرَكـاتُ الـلَّبِيـبِ
١١ ـ فَـإِنَّـكَ قَـدْ حُـزْتَ حُسْنَ الغِنَـاءِ
وَقَـدْ فُـزْتَ مِنـهُ بِـأَوْفَى نَصِيبِ

التعريف:
٨ ـ في رواية: (الحَبيب القَريب).
١٠ ـ في رواية: (يَحنُّ إليهِ فُؤَادُ).

١٢ ـ وَكُنْ ـ بأبي أنتَ ـ رَجْعَ الجَوابِ
فِداؤُكَ أنفُسُنا مِن مُجيبِ

* * *

ـ ٨ ـ

وقال: (طويل)

١ ـ ألا رُبَّ يَومٍ قَصَّرَ اللَّهُ طُولَهُ
بِقُرْبِ عَرِيبٍ حَبَّذا هُوَ مِنْ قُرْبِ
٢ ـ بِها تَحسُنُ الدُّنيا ويَنْعَمُ عَيْشُها
وَتَجْتَمِعُ السَّرَّاءُ لِلعَيْنِ والقَلْبِ

.....

التخريج:
الأغاني ٢٢/١٨٢، ونهاية الأرب ٥/١١٠.

* * *

ـ ٩ ـ

وقال: (طويل)

١ ـ إلى اللَّهِ أَشْكُو وَحْشَتي وتَفجُّعِي
وَبُعْدَ المَدَى بَيني وَبَيْنَ عَرِيبِ

.....

التخريج:
الأغاني ٢٢/١٧٤، وفيه: (أخبرني جَعفرُ بنُ قدامة قال:
اتصلتُ لِعريبَ أشغال دائمة... فلم يرَها إبراهيمُ بن المدبّرِ مدّة، فكتب إليها (الأبيات). لعريب في هذه الأبيات خفيف ثقيل من رواية ابن المعتز وهو من مشهور غنائها).

٢ ـ مَضَىٰ دُونَها شَهْرانِ لَمْ أَحْلَ فيهما
بِعَيْشٍ وَلا مِنْ قُرْبِها بِنَصِيبِ
٣ ـ فَكُنْتُ غَرِيباً بَيْنَ أَهْلي وَجِيرَتي
وَلَسْتُ ـ إذا أَبْصَرْتُها ـ بِغَرِيبِ
٤ ـ وَإِنَّ حَبِيباً لَمْ يَرَ النَّاسُ مِثْلَهُ
حَقِيقٌ بِأَنْ يُفْدَىٰ بِكُلِّ حَبِيبِ

التعريف:
٢ ـ لم أحلَ: لم ألذَّ.

* * *

ـ ١٠ ـ

وقال: (طويل)

١ ـ وَإِنِّي لأَسْتَنْشي الشِّمالَ إذا جَرَتْ
حَنِيناً إلَى أُلَّافِ قَلْبِي وَأَحْبَابي
٢ ـ وأُهْدِي مَعَ الرِّيحِ الجَنُوبِ إليهُمُ
سَلامي وَشَكْوَىٰ طولِ حُزْني وَأَوْصَابي

.....

التخريج:
الأغاني ٢٢/١٨٤، وفيه: (وأنشدني (أي عليُّ بنُ العباس) عن أبيه لإبراهيم بن المدبّر وهو محبوس).

التعريف:
١ ـ استنشى: أشمُّ. الشِّمال: الريح التي تَهبُّ من جهة الشمال.
٢ ـ أوصابي: أوجاعي.

٣ ـ فَيَا لَيْتَ شِعْرِي هَـلْ عَرِيبٌ عَلِيمَـةٌ
بِـذلـك أَوْ نَـامَ الأَحِبَّـةُ عَمَّـا بِي

---

٣ ـ فيا ليتَ شِعرِي: لَيتَ علمي، أو ليتني علمتُ.

* * *

ـ ح ـ

ـ ١١ ـ

وقال: (طويل)

١ ـ مَعَـاذِي وَجَارِي وَجْهُـكَ اليَـوْمَ إِنَّـهُ
هُوَ الوَجْهُ مَنْ يَبْغي بِهِ النُّجْحَ يَنْجَحُ
٢ ـ وَعَـدْلُـكَ مَبْسـوطٌ وأَمْنُـكَ شَـامِـلٌ
وحِلْمُـكَ من ثَهْلانَ أَوْفَى وَأَرْجَـحُ

.....

التخريج:

ربيع الأبرار ١/٤١٩ ولم يشر إلى اسم إبراهيم، وإنما جاء فيه: (ابنُ المدبّرِ في عُبَيْدِ اللّهِ بنِ يَحيَى بنِ خاقانَ)، ومن المرجح أن يكون البيتان له وأنه قالهما وهو في الحبس.

التعريف:

١ ـ معاذي: المَعاذُ: المَلْجأُ والمَلاذُ.

٢ ـ ثَهْلان: جبلٌ ضَخْمٌ في بلاد بني نمير.

* * *

ـ ١٢ ـ

وقال: (مجزوء الرمل)

٢ ـ بِأَبِي مَنْ بَاتَ عِنْدِي
طَارِقاً مِنْ غَيْرِ وَعْدِ
٢ ـ بَاتَ يَشْكُو أَلَمَ الشَّوْ
قِ، وَأَشْكُو فَرْطَ وَجْدِي
٣ ـ وَتَجَنَّى فَبَكَى فَآنْـ
ـهَلَّ دُرٌّ فَوْقَ وردِ
٤ ـ فَيَدٌ تَحْتَ يَدٍ طَوْ
راً، وَخَدٌّ فَوْقَ خَدِّ

.....

التخريج:

الفرج بعد الشدّة ٢/١٢٤، وفيه:

(ذكر ابن عبدوس في أخبار الوزراء: أنَّ نجاحَ بنَ سَلمةَ، حبَس إبراهيمَ بنَ المدبّر مكايدة لأخيه، وذلك في أيّام المتوكل. فلما طال حبسُ إبراهيمَ، ولم يَجدْ حيلةً في الخَلاص، عَمِلَ أبياتاً، وأنفذها إلى المسدود الطنبوري، وسأله أن يعملَ فيها لحناً، ويغنّي بها المتوكلَ، فإذا سأَلَ عن قائلِها، عرَّفَه أنَّها له. ففعلَ المسدودُ ذلك، وسأَله المتوكلُ، فقال: لِعبدِكَ إبراهيمَ بنِ المدبّرِ، فذكره، وأمرَ بإطلاقه: والأبيات هي).

التعريف:

٢ ـ فَرْطُ وجدي: الفَرْط: تَجاوُزُ الحَدِّ.

٣ ـ تَجنَّى: ادَّعَى عليه جِنايةً لم يَفعلْها. انهلَّ الدمعُ: تَساقَطَ.

* * *

- ١٣ -

وقال: (مجزوء الكامل)

١ - الـهَـجْـرُ لا مُـسْـتَـحْـسَـنٌ
بَـعْـدَ الـمَـواثـقِ والـعُـهُـودْ

٢ - وَأَراكِ مُـغْـراةً بِـهِ
أَفَـمـا غَـرِضْـتِ مِـن الـصُّـدودْ

٣ - إنّـي أُجَـدِّدُ لَـذَّتـي
مَـا لاحَ لـي يَـوْمٌ جَـدِيـدْ

٤ - شُـرْبـي مُـعَـتَّـقَـةُ الـكُـرُو
مِ، وَنُـزْهَـتـي وَرْدُ الـخُـدُودْ

.....

التخريج:

الأغاني ٢٢/١٦٧، وفيه: (أخبرني جعفر (أي ابن قدامة) قال: غَنَّى أبو العُبَيْسِ بنُ حَمْدونَ يوماً عند إبراهيم: (بيتان).

فزادَ فيهِ إبراهيمُ قوله (الأبيات). فغنَّى هذه الأبيات أبو العُبَيْس مُتَّصلةً باللحن الأول في البيتين وصارَ الجميعُ صوتاً واحداً إلى الآن، والأبياتُ الأخيرةُ لإبراهيمَ بن المدبّر، والأوَّلانِ لَيْسا له).

ملاحظة: ضَبطَ المحقّقُ قافيةَ الأبياتِ بالكسرِ، وضَبطَ الثالثَ بالضَّمِ، وعلّقَ على ذلك في الهامشِ بقولهِ: (في البيت إقواءٌ).

والصحيحُ أنّ القافيةَ ساكنةٌ، فلا إقواءَ عندَئذٍ.

والجدير بالذكر أنَّ هناكَ روايةً أخرى لعجزِ البيتِ الثالثِ وهي: (ما دمتُ في يومٍ جديدِ) وبذلك يصحُّ أن تكونَ القافية مكسورة.

التعريف:

٢ - مُغراةً: مُولعةً، من أغرى بالشيء: أُولعَ. غَرِضَ من الشيء: مَلَّ وضَجِرَ.

٤ - المعتّقة: الخمرُ التي تُترَكُ لِتَقْدُمَ وَتَطِيبَ.

وقال: (طويل)

١ - أَتَعْلَمُ يَا مَيْمُونُ مَاذا تُهيجُهُ
بِذِكْرِكَ أَحْبَابي وَحِفْظِهِمُ العَهْدا

٢ - وَوَصْفِ عَرِيبٍ في كَرِيمٍ وَفَائِها
وإِجْمالِها ذِكْري وإِخْلاصِها الوُدَّا؟

٣ - عَلَيْها سَلامِي إِنْ تكُنْ دَارُها نَأَتْ
فَقَدْ قَرَّبَ اللَّهُ الذي بَيْنَنا جِدّا

٤ - سَقَى اللَّهُ دَاراً بَعْدَنَا جَمَعَتْكُمُ
وَسَكَّنَ رَبُّ العَرْشِ سَاكِنَها الخُلْدا

٥ - وَخَصَّ أَبَا عَيْسَى الأَمِيرَ بِنِعْمَةٍ
وَأَسْعَدَ فِيما أَرْتَجِيهِ لَهُ الجَدَّا

.....

التخريج:

الأغاني ٢٢/١٧٧ - ١٧٨ وفيه:

(أخبرني جعفرُ بنُ قدامةَ قالَ: حدّثني مَيمونُ بنُ هارونَ قال:

اجتمعتُ معَ عَريبَ في مجلسِ أُنسٍ بِسُرَّ مَنْ رأى عندَ أَبي عَيسى ابن المتوكّل، وإبراهيمُ بنُ المدبّرِ يَومَئِذٍ بِبَغدادَ، فَمَرَّ لنا أَحسنُ يومٍ، وَذَكَرْتُهُ عَريبُ فَتشوَّقْتُه، وأَحسنت الثَّناءَ عليهِ والذِّكرَ لهُ، فكتبْتُ إليهِ بذلكَ من غدٍ، وشَرَحْتُه له، فأَجابَني عن كتابي وكتبَ في آخره).

التعريف:

٢ - الإجمال: الإحسان.

٤ - في روايةٍ: (رَبُّ الخُلْدِ).

٦ ـ فَما ثَمَّ مِنْ مَجْدٍ وَطَوْلٍ وَسُؤْدَدٍ
وَرَأْيٍ أَصِيلٍ يَصْدَعُ الحَجَرَ الصَّلْدا

---

٦ ـ الطَّوْل: الفضل والغنى واليسر. يَصدعُ: يشقُّ ويكسر.

* * *

ـ ر ـ

ـ ١٥ ـ

وقال: (بسيط)

١ ـ نَبْتٌ إِذَا سَكَتَتْ كانَ السُّكوتُ لها
زَيْناً، وَإِنْ نَطَقَتْ فآلدُّرُّ يَنْتَشِرُ
٢ ـ وَإِنَّما أَقْصَدَتْ قَلْبِي بِمُقْلتِها
مَا كانَ سَهْمٌ وَلا قَوْسٌ وَلا وَتَرُ

.....

التخريج:
الأغاني ٢٢/١٦٤.

التعريف:
١ ـ (ينتشر) كذا في الأصل، ولعلها (ينتثر) بالثاء، جاء في التاج: (درٌّ مُتناثرٌ، ومُنثّرٌ، ونَثِيرٌ، ومنثورٌ).
ويبدو أن الانتشار لا يستعمل مع الدّرِّ؟.
٢ ـ أَقْصَدَتْ: أَصَابتْ فلمْ تُخطِئْ.

* * *

وقال: (طويل)

١ ـ دَعَـوْتُـكَ مِنْ كَـرْبٍ فَلبّيْتَ دَعْـوَتي
وَلَمْ تَعْتَرِضْني ـ إذْ دَعوتُ ـ المعَاذِرُ

٢ ـ إليـكَ ـ وَقَدْ حُلِّئْتُ ـ أَوْرَدْتُ هِمَّتي
وَقَدْ أَعْجَزْتني عَنْ هُمُومي المَصَادِرُ

٣ ـ نَمَىٰ بكَ عَبْدُ اللّهِ في العِـزِّ والعُلا
وَحَـازَ لكَ المَجْـدَ المُؤَثَّلَ طَـاهِـرُ

٤ ـ فَـأَنتُمْ بَنُـو الـدُّنيـا وأَمـلاكُ جَـوِّهـا
وَسَـاستُهـا والأَعْـظَمـونَ الأَكـابِـرُ

.....

التخريج:

الأغاني ٢٢/١٦١ ـ ١٦٢، وفيه:

(أخبرني عمي عن محمدِ بنِ داودَ):

أَنَّ حبسَه طالَ، فلم يكنْ لأحدٍ في خَلاصِه منهُ حِيلةٌ مَعَ عَضْلِ عُبيد الله وقَصْدِه إيَّاه، حتَّى تخلّصَهُ محمّدُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ طَاهِرٍ، وَجَوَّدَ المسألةَ في أمره، ولم يَلتفتْ إلى عُبيد الله، وبذلَ أَن يحتملَ في ماله كلَّ ما يُطالبُ به، فأَعفاهُ المتوكلُ من ذلك، ووهبه له، وكانَ إبراهيمُ استغاثَ به ومدحَه، فقال). والأبيات في إعتاب الكتاب ١٦١ ـ ١٦٢.

التعريف:

٢ ـ حُلِّئْتُ: مُنِعتُ وطُردتُ.

٣ ـ نَمَى الشيءَ: رفعَه وأَعلَى شأنه. المُؤَثَّلُ: المُؤصَّلُ والثابتُ

٤ ـ إعتاب الكتاب: (وأملاك شرقها).

٥ ـ مَـآثِـرُ كَـانَتْ لِلحُسَيْنِ وَمُصْعَبٍ
وَطَلْحَةَ لا تَحْوِي مَـداها المَفَـاخِرُ

٦ ـ إذا بَـذَلُوا، قِيـلَ: الغُيُوثُ البَـواكِـرُ
وَإنْ غَضِبُوا، قِيلَ: اللُّيُوثُ الهَواصِرُ

٧ ـ تُـطيعُكُـمُ يَـومَ اللِّقـاءِ البَـوَاتِـرُ
وَتَـزْهُو بِكُمْ يَـومَ المَقـامِ المَنـابِرُ

٨ ـ وَمَـا لكُمُ غَـيْـرَ الأَسِـرَّةِ مَجْلِسٌ
وَلا لكُمُ غَيْرَ السُّيُـوفِ مَخَـاصِـرُ

٩ ـ وَلي حَاجَةٌ إنْ شِئْتَ أَحْرزْتَ مَجْدَها
وَسَـرَّكَ مِـنـهـا أَوَّلٌ ثُـمَّ آخِـرُ

١٠ ـ كَـلامُ أَميـرِ المُؤْمنينَ وَعَـطْفُـهُ
فَمَـا لِيَ بَعْـدَ اللَّهِ غَيْـرَكَ نَـاصِـرُ

١١ ـ وَإنْ سَاعَدَ المَقْدورُ فَالنُّجْـحُ وَاقِعٌ
وَإلَّا فَـإنّي مُخْلِصُ الـوُدِّ شَـاكِـرُ

---

٦ ـ الغيوث: جمع غيث، وهو المطر. الهواصر: الكواسر المحطّمة.

٧ ـ إعتاب الكتاب: (تُعظّمكم وتُزهَى بكم يوم المقال).

٨ ـ إعتاب الكتاب: (فما لكم). المخاصر: ما يأخذه الملك بيده يشير به، إذا خاطب، والخطيبُ إذا خطب.

١١ ـ إعتاب الكتّاب: (المقدار).

* * *

وقال: (كامل)

١ ـ أَدُمـوعُـهـا أَمْ لُـؤْلُـؤٌ مُـتَـنَـاثِـرُ
يَـنْـدَىٰ بِـهِ وَرْدٌ جَـنِـيٌّ نَـاضِـرُ

ومنها:

٢ ـ لا تُـؤْيِسَـنَّـكَ مِنْ كَـرِيـمٍ نَـبْـوَةٌ
فـالسَّيفُ يَنبُـو وَهْـوَ عَضْبٌ بَـاتِـرُ
٣ ـ هـذا الـزَّمَـانُ تَسُـومُني أَيَّـامُـهُ
خَسْفـاً، وَهَـأَنَـذا عَليـهِ صَـابِـرُ
٤ ـ إِنْ طـالَ لَيلي في الإِسَـارِ فَـطَالَمـا
أَفْـنَيْـتُ دَهْـراً لَـيـلُهُ مُـتَـقَـاصِـرُ

.....

التخريج:

الأغاني ٢٢/١٥٩ ـ ١٦٠، وفيه:

(ولإبراهيمَ في حبسِه أشعارٌ كثيرةٌ حِسانٌ مختارةٌ، منها قوله في قصيدة أولها)، والأبيات في: الوافي بالوفيات ٦/١٠٨، وفوات الوفيات ١/٤٥.

التعريف:

١ ـ الوافي: (يَرقى به الوَرْدُ الجنيُّ الزَّاهِرُ)، الفوات: (الوردُ الجنيُّ الزَّاهِرُ) الجَنِيُّ: ما جُني لساعته من كلِّ ثمر.

٢ ـ الوافي والفوات: (لا يُؤْيِسنَك).

نبوة: نَبا السيفُ عن الضَّريبة، نَبْوَةً: لم يُصِبْها.

العَضْبُ: السَّيفُ القاطعُ.

٣ ـ تسومني خَسْفاً: تُولِيني إياه.

٥ ـ والحَبْسُ يَحْجِبُني وَفي أَكْنافِهِ
مِنّي عَلَى الضَّرّاءِ لَيْثٌ خادِرُ

٦ ـ عَجَباً لَهُ كَيْفَ التَقَتْ أَبْوابُهُ
وَالجُودُ فِيهِ والغَمامُ البَاكِرُ؟

٧ ـ هَلاَّ تَقَطَّعَ أَوْ تَصَدَّعَ أَوْ وَهَى
فَعَذَرْتُهُ؛ لكنَّهُ بِيَ فاخِرُ

---

٥ ـ الوافي والفوات: (والسّجن). أكنافه: نواحيه. الضَّرّاءُ: الشِّدة والضّيقُ.
خادِرٌ: مُلازمٌ لأجمتِهِ.

٦ ـ الفوات والوافي: (والربيع الباكر).

* * *

ـ ١٨ ـ

وقال: (وافر)

١ ـ تَسَلَّيْ لَيسَ طُولُ الحَبْسِ عاراً
وَفيهِ لَنا مِنَ اللّهِ اختِبارُ

.....

التخريج:

الأغاني ٢٢/١٥٩، وفيه:

(حدّثني عمّي قال: حدّثني محمّدُ بنُ داودَ بنِ الجَرّاح قال:
كانَ أحمدُ بنُ المدبِّرِ وَلِيَ لِعُبيد الله بنِ يحيى بنِ خاقانَ عملاً، فلم يَحمَدْ أثرَه فيه، وعَمِلَ على أن ينكبه، وبلَغَ أحمدَ ذلكَ فهربَ، وكانَ عُبيدُ الله منحرفاً عن إبراهيمَ، شَديدَ النَّفاسةِ عليه برأي المتوكلِ فيه، فأغراهُ بهِ، وعرَّفَه خبرَ أخيهِ، وادَّعى عليهِ مالاً جليلاً، وذكرَ أنَّه عندَ إبراهيمَ أخيهِ، وأوغرَ صدرَه عليه حتّى أذنَ له في حبسهِ فقال وهو محبوس).

التعريف:

١ ـ في رواية: (تسلَّ فليسَ طُولَ الحبسِ عارٌ).

٢ ـ فَلولا الحَبْسُ مَـا بُلِيَ اصـطِبـارٌ
وَلـولا اللَّيـلُ مَـا عُـرِفَ النَّهـارُ
٣ ـ وَمَـا الأَيَّـامُ إلَّا مُـعْـقِـبـاتٌ
وَلا الـسُّـلْطَانُ إلَّا مُـسْـتَـعَـارُ
٤ ـ وَعَـنْ قَـدَرٍ حُبِسْتُ فَـلا نَـقِيضٌ
وَفِـيـمـا قَـدَّرَ الـلَّه الـخِـيَـارُ
٥ ـ سَيُفْـرَجُ مَـا تَـرَيْـنَ إلَى قَـلِـيـلٍ
مُـقَـدَّرُهُ، وإنْ طَـالَ الإسَـارُ

= في المتن جاءت الكلمةُ: (اختبار) (اختيار)، ووردت كما أثبتناها في فهرس القوافي. الاختبار: الامتحان.
٢ ـ بُلِيَ: أُختُبِرَ.
٣ ـ مُعقبات: يعقب بعضها بعضاً بالخيرِ والشرّ أو بالنّورِ والظلامِ.
مُستعارٌ: عَاريةٌ.
٤ ـ الخِيار: الاختيار.

* * *

ـ ١٩ ـ

وقال: (مجزوء الخفيف)

.....

التخريج:
الأغاني ٢٢/١٨٣، وفيه:
(وحدثني عليٌّ (بنُ العباس) قال: حدَّثني أَبي قالَ:
دَخلْتُ ليلةً على إبراهيمَ بنِ المدبّرِ في أيَّامِ نكبتِهِ ببَغدادَ في ليلةِ غَيْمٍ، فَلاحَ بَرْقٌ من قُطبِ الشِّمالِ ونحنُ نتحدّثُ، فقطَعَ الحديثَ، وأَمسكَ ساعةً مُفكِّراً، ثُمَّ أَقبلَ عليَّ فقال).

١ ـ بَـارِقٌ شَـرَّدَ الـكَـرَىٰ
لاحَ مِـنْ نَـحْـوِ مَـا تَـرَى
٢ ـ هَـاجَ لِـلقَـلْبِ شَـجْـوَهُ
فـآعْـتَـرَى مِنْـهُ مـا آعْـتَـرَى
٣ ـ أَيُّـهـا الـشَّـادِنُ الـذي
صَـادَ قَـلْبـي وَمَـا دَرَى
٤ ـ كُـنْ عَـلِيـمـاً بِـشِـقْـوَتـي
فِـيـكَ مِـنْ بَـيْـنِ ذَا الـوَرَى

التعريف:
٣ ـ الشّادِنُ: ولد الظّبي.
٤ ـ الشِّقْوَةُ: الشَّقاءُ.

* * *

ـ ٢٠ ـ

وقال: (رمل)

.....

التخريج:
الأغاني ٢٢/١٨٥، وفيه:
(أخبرني عليُّ بنُ العبّاسِ قالَ: حدَّثني أبي قالَ:
كنتُ عندَ إبراهيمَ بنِ المدبّرِ وزارتْه عَريبُ. فقالَ لها: رأيتُ البارحةَ في النوم أبا العُبَيْسِ وقد غنَّى في هذا الشعر وأنتِ تراسلينه فيه...
فقالت: ما أملح والله الابتداء والإجازة! فاجعلْ ذلك في اليَقَظَةِ، واكتبْ إلى أبي العُبَيْسِ وسَلْهُ عنّي وعنكَ الحضورَ، فكتب إليه إبراهيمُ...
قال: فسار إليهما أبو العُبَيْسِ، وحدَّثه إبراهيمُ برُؤْيَاهُ، فحفِظا الشعرَ، وغنّيا فيه بقيةَ يومهما).

١ ـ يَا أَبَا العَبَّاسِ يَا أَفْتَى الوَرَى
زَارَنَا طَيْفُكَ في سُكْرِ الكَرَى
٢ ـ وَتَغَنَّى لِيَ صَوْتاً حَسَناً
في سَنَا بَرْقٍ عَلَى الأُفْقِ سَرَى
٣ ـ وَعَرِيبٌ عَندَنَا حَاصِلَةٌ
زَيْنُ مَنْ يَمْشِي عَلَى وَجْهِ الثَّرَى
٤ ـ نَحنُ أَضْيَافُكَ في مَنْزِلِنَا
نَتَمنَّاكَ فَكُنْ أَنتَ القِرَى

التعريف:

٣ ـ في رواية: (حاضرة).

٤ ـ القِرَى: ما يُقَدَّمُ إلى الضَّيفِ.

* * *

ـ ٢١ ـ

وقال: (مجزوء الكامل)

١ ـ يَومٌ أَتَانَا بالسُّرُورِ
فَالحَمْدُ لِلَّهِ الكَبِيرِ

.....

التخريج:

الأغاني ٢٢/١٥٧ ـ ١٥٨، وفيه:

(أخبرَني أحمدُ بنُ جَعْفرٍ جَحظةَ قال: حدّثني إبراهيمُ بنُ المدبّرِ قال: مَرِضَ المتوكّلُ مَرضَةً خِيفَ عليهِ منها ثُمَّ عُوفِيَ، وأَذِنَ للناسِ في الوصولِ إليهِ، فدَخلُوا على طَبقَاتِهم كافةً ودَخلتُ معَهم، فلمَّا رَآني اسْتَدْناني، حتّى قمتُ وراءَ الفتحِ، ونَظرَ إليَّ مُسْتَنطِقاً فأنشدتُه... فقال =

٢ ـ أَخْلَصْتُ فيهِ شُكْرَهُ
وَوَفَيْتُ فِيهِ بالنُّذُورِ
٣ ـ لَمَّا اعْتَلَلْتَ تَصَدَّعَتْ
شُعَبُ القُلُوبِ مِن الصُّدُورِ
٤ ـ مِنْ بَيْنِ مُلْتَهِبِ الفُؤَا
دِ، وَبَيْنِ مُكْتَئِبِ الضَّمِيرِ
٥ ـ يَا عُدْتي لِلدِّينِ والدُّنْيَـ
ـا وَلِلْخَطْبِ الخَطِيرِ
٦ ـ كَانَتْ جُفُوني ثَرَّةَ الـ
آمَاقِ بالدَّمْعِ الغَزِيرِ
٧ ـ لَوْ لَمْ أَمُتْ جَزَعاً لَعَمْـ
ـرُكَ إِنَّني عَيْنُ الصَّبُورِ

.....

= المتوكّلُ لِلفتح: إنَّ إبراهيمَ لَينطِقُ عنْ نيَّةٍ خالصةٍ، ووُدٍّ مَحْضٍ، وَمَا قَضَيْنا حقَّه، فتقدّمْ بأن يُحملَ إليه الساعةَ خمسونَ ألفَ درهمٍ، وتُقدمْ إلى عُبيدِ اللهِ بنِ يحيى بأنْ يولّيَه عمَلاً سَرِياً ينتفعُ به).

التعريف:
٣ ـ شُعَب القلوب: شُعَبُ الصدور: مجاري النَّفَسِ في الرئتين.
٤ ـ في رواية: (من بين مكتئب الفؤا د وبين ملتهب..).
٥ ـ الخَطْب: الأمرُ الشّديدُ.
٦ ـ الآماق: جمع: مَأْق: طَرَفُ العينِ ممَّا يلي الأنف، وهو مَجرَى الدَّمعِ.
٧ ـ لَعَمْرُك: العَمْرُ: مُدَّة الحياةِ، ويقالُ في القسم: عَمْرَكَ اللّهَ أفعل كذا.. ويقال أيضاً: لَعَمْرُك.

٨ ـ يَـومِـي هُـنـالـكَ كـالـسِّـنِـيـ
ـنَ وَسَـاعَـتـي مِـثْـلُ الـشُّـهُـورِ
٩ ـ يَـا جَـعْـفـرُ الـمُـتَـوكِّـلُ الـ
ـعَـالـي عَـلَى البَـدْرِ الـمُـنِـيـرِ
١٠ ـ الـيَـومَ عَـادَ الـدِّيـنُ غَـ
ـضَّ الـعُـوْدِ ذَا وَرَقٍ نَـضِـيـرِ
١١ ـ والـيَـومَ أَصْـبَـحَـتِ الـخِـلا
فـةُ وهـي أَرْسَى مِـنْ ثَـبِـيـرِ
١٢ ـ قَـدْ حَـالَـفْـتَـكَ وَعَـاقَـدَتْ
ـكَ عَـلَى مُـطَاوَلَـةِ الـدُّهُـورِ
١٣ ـ يَـا رَحْـمَـةً لِـلْعَـالَـمِـيـ
ـنَ، وَيَـا ضِـيـاءَ الـمُـسْـتَـنِـيـرِ
١٤ ـ يَـا حُـجَّـةَ الـلَّهِ الـتـي
ظَـهَـرَتْ لَـهُ بِـهُـدىً وَنُـورِ
١٥ ـ لِـلَّهِ أَنـتَ فَـمَـا نُـشَـا
هِـدُ مِـنْـكَ مِـنْ كَـرَمٍ وَخِـيـرِ

---

١٠ ـ في رواية: (عاد الملك).
١١ ـ ثبير: اسم جبل.
١٢ ـ مُطاولة الدهور: مغالبتها ومباراتها.
١٤ ـ الحُجَّة: الدليل والبُرهان.
١٥ ـ الخِيرُ: الشرف والأصل.

١٦ ـ حتَّى نَقولَ وَمَنْ بِقُرْ
بِكَ مِنْ وَلِيٍّ أَوْ نَصِيرِ
١٧ ـ البَدْرُ يَنْطِقُ بَيْنَنا
أَمْ جَعْفَرٌ فَوْقَ السَّرِيرِ
١٨ ـ فَإِذا تَواتَرَتِ العَظَا
ئِمُ كُنتَ مُنْقَطِعَ النَّظِيرِ
١٩ ـ وَإِذا تَعَذَّرَتِ العَطَا
يَا كُنْتَ فَيَّاضَ البُحُورِ
٢٠ ـ تُمْضِي الصَّوابَ بِلا وَزِيـ
ـرٍ أَوْ ظَهِيرٍ أَوْ مُشِيرِ

١٩ ـ في رواية: (تَغوَّرت).
٢٠ ـ الظهير: المُعين.

* * *

ـ ٢٢ ـ

وقالَ في الحَبْسِ قصيدةَ أوّلها: (طويل)

١ ـ أَلَا طَرَقَتْ سَلْمَى لَدَى وَقْعَةِ السَّارِي
فَرِيداً وَحِيداً مُوثَقاً نَازِحَ الدَّارِ

التخريج:
الأغاني ٢٢/١٦٠، والأبيات ما عدا الأخير في: الوافي بالوفيات ٦/١٠٨، وفوات الوفيات ١/٤٦، والأبيات: (٣ ـ ٥، ٧ ـ ٨) في تمام المتون ٧٠ ـ ٧١.

التعريف:
١ ـ الوافي: (وحيداً فريداً)، الفوات: (وقفة الساري وحيداً فريداً). الطَّرْق: =

٢ ـ هُـوَ الحَبْسُ مَا فيـهِ عَلَيَّ غَضَاضَـةٌ
وَهَلْ كانَ في حَبْسِ الخَليفةِ مِن عَارِ!

يقول فيها:

٣ ـ أَلَسْتِ تَـرَيْنَ الخَمْرَ يَـظْهَـرُ حُسْنُهـا
وَبَهْجَتُها بِالحَبْسِ في الطِّينِ والقَارِ!
٤ ـ وَمَـا أَنـا إِلَّا كـالجَـوَادِ يَصُـونُـهُ
مُقـوِّمُـهُ لِلسَّبْقِ في طَيِّ مِضْمـارِ
٥ ـ أَوِ الـدُّرَّةِ الـزَّهْـراءِ في قَعْـرِ لُجَّـةٍ
فَـلا تُجْتَلَى إِلَّا بِهَـوْلٍ وَأَخْـطارِ
٦ ـ وَهَـلْ هُـوَ إِلَّا مَنْـزِلٌ مِثْـلُ مَنْـزِلي
وَبَيْتٌ وَدَارٌ مِثْـلُ بيـتيَ أَوْ داري؟
٧ ـ فَلا تُنكِري طُولَ المَدَى وَأَذى العِدَى
فَـإِنَّ نِهـايـاتِ الأُمـورِ لِإِقْصَـارِ
٨ ـ لَعَـلَّ وَرَاءَ الغَيْبِ أَمْـراً يَسُـرُّنـا
يُقَـدِّرُهُ في عِلْمِـهِ الخَـالِقُ البَـارِي

= الضَّرْب على الباب ليلاً. وَقْعةُ السَّارِي: نومتُه آخرَ الليل. نازَح: بعيد.
٢ ـ الغَضَاضة: الذِّلَّةُ والمَنقَصَةُ والعَيْبُ.
٣ ـ القارُ والقِيرُ: ما يُدهنُ به سدادُ الدِّنانِ.
٤ ـ المِضمارُ: المكانُ تُضمَّرُ فيه الخيلُ (أي تُرْبَطُ وتُعْلَفُ وتُسقَىٰ كثيراً مدّة وتُرْكَضُ في الميدانِ حتى تَخفَّ وتَدقَّ).
٥ ـ تُجتَلَى: تُعْرَضُ مَجلوَّةً، مصقولةً.
٧ ـ إقصار: انتهاءٌ، وتركٌ، وكفٌّ.

٩ ـ وَإِنّي لَأَرجُـو أَنْ أَصُـولَ بِجَعْفَـرٍ
فَـأَهْضِمَ أَعْـدائي وأُدْرِكَ بـالثَّـأرِ

٩ ـ هضَم فلاناً: ظلَمه وغصبَه. وهو يريد أن ينال من أعدائه كما نالوا منه.

* * *

ـ ٢٣ ـ

وقال: (طويل)

١ ـ طَـرِبْتُ إلى قُـطْرَبُّـلٍ وَبَـلَشْكَـرٍ
وَرَاجعْتُ غَيّـاً لَيسَ عَنّي بِمُقْصِرِ

.....

التخريج:

الأغاني ١٦٣، وفيه:

(أخبرني جَعْفرُ بنُ قُدامة قال:

كانَ عليُّ بنُ يحيى المنجّمِ وإبراهيمُ بنُ المدبّرِ مُجتمعينِ في منزلِ بَعضِ الوُجوهِ بِسُرَّ من رأى على حالِ أُنسٍ، وكانتْ تُغنّيهم جَاريةٌ يُقالُ لها نَبْتٌ جَاريةُ البكريّةِ المغنيةِ من جَوارِي القِيانِ، فأَقبلَ عليها إبـراهيمُ بنُ المدبّرِ بنظرِه ومَزْحِهِ وتَجميشِهِ، وهي مُقْبلةٌ على فتىً كانَ أَمردَ مِن أولادِ الموالي يقالُ له مُظفرٌ، كانتْ تهواه، وكانَ أحسنَ الناسِ وجهاً، ولم يزلْ ذلكَ دأبَهم إلى أنْ افترقوا، فكتبَ إليه علي بن يحيى يقول: .... فكتب إليه إبراهيم بن المدبر) والأول في معجم البلدان ٤٨٤/١.

التعريف:

١ ـ قُطْربُّلُ: قَريةٌ بين بغداد وعُكبرا ينسب إليها الخمر. بَلَشْكَرُ: من قرى بغداد.
في رواية: (وراجعتُ عَمًا لَستُ عنهُ بِمُقْصِر).

٢ ـ وَذَكَّـرَني شِعْـرٌ أَتَـانيَ مُـونِـقٌ
حَبَـائِبَ قَلْبي في أَوائِلِ أَعْصُـرِي

٣ ـ فَنَهْنَهْتُ نَفْسي عَنْ تَذَكُّرِ مَـا مَضَى
وَقُلْتُ: أَفِيقي لاتَ حِينَ تَـذَكُّـرِ

٤ ـ أَبَـا حَسَنٍ ما كُنْتَ تُعْـرَفُ بـالخَنَـا
وَلا بِعُلوٍّ فـي المكـانِ المُـؤَخَّـرِ

٥ ـ وَما زِلْتَ محمُودَ الشَّمَائلِ مُرْتَضَى الخـ
ـلائقِ، مَعْـروفـاً بِعُـرْفٍ ومُنْكَـرِ

٦ ـ أَتَـرْمي بِنَبْتٍ مَنْ جَفـاهـا تَخَيُّـراً
وَبَـاعـدَهـا عَنـهُ بِـرَأْيٍ مُـوَقَّـرِ؟

٧ ـ وَدَافعَهـا عَنْ سِـرِّهـا وَهْيَ تَشْتَكِي
إِليـهِ تَبَـارِيـحَ الهَـوَى المُتَسَعِّـرِ

٨ ـ وَلَـوْ كـانَ تَبَّـاعـاً دَوَاعِيَ نَفْسـهِ
إِذاً لَقَضَى أَوْطـارَه آبنُ المُـدبِّـرِ

٩ ـ عَلَى أَنَّهُ لَوْ حَصْحَصَ الحقُّ بَـاعَها
ـ وَلَـوْ كانَ مَشْغُـوفاً بهـا ـ بِمُـظَفَّـرِ

---

٢ ـ مُونِقٌ: مُعْجِبٌ.

٣ ـ نهنهتُ: كَفَفْتُ وَزَجَرْتُ.

٤ ـ أبو حسن: كنيةُ عليّ بن يحيى المنجّم. الخَنا: الفُحْشُ في الكلامِ.

٥ ـ الخَلائق: جمعُ خَليقةٍ: الطَّبيعةُ التي يُخلَقُ المرءُ بها.

٧ ـ تَباريح الهوى: تَوَهُّجُه.
في رواية: (دافعَها عن وَصْلِه).

٨ ـ أوطاره: حاجاته.

٩ ـ حَصْحَصَ الحقُّ: ظَهرَ بعدَ خَفاءٍ.

١٠ ـ بِلُؤْلُؤَةٍ زَهْـراءَ يُشْـرِقُ ضَـوءُهـا
وَغُـرَّةِ وَجْـهٍ كـالصَّباحِ المُشَهَّـرِ
١١ ـ إلى اللَّهِ أَشْكُـو أَنَّ هـذا وهـذِهِ
غَـزالا كَـثِيبٍ ذِي أَقَـاحٍ مُنـوِّرِ
١٢ ـ وَأَنتَ فَقَـدْ طَـالَبْتَهـا فَـوَجَـدْتَهـا
لَهـا خُلُقٌ لا يَـرْعَـوِي ذُو تَـوَعُّـرِ
١٣ ـ وَحَـاوَلْتَ فِيهـا سَلْوَةً عَنْ مُـظَفَّرٍ
فما لانَ مِنها العِطْفُ عِنْدَ التَّخَيُّـرِ
١٤ ـ نَصَحْتُـكَ عَنْ وُدٍّ وَلَمْ أَكُ جَاهِـداً
فَإِنْ شِئْتَ فَآقبَلْ قَولَ ذِي النُّصْحِ أَوْ ذَرِ

---

١١ ـ الكَثِيبُ: الرَّملَ المستطيلُ المُحْدَوْدَبُ.
١٢ ـ لا يَرْعَوِي: لا يَرْتَدِعُ: ولا ينزَجرُ.
١٣ ـ العِطْفُ: الجانبُ.
١٤ ـ ذَرْ: اترُكْ.

* * *

ـ ٢٤ ـ

وقالَ: (بسيط)

.....

التخريج:

الأغاني ٢٢/ ١٧٠ ـ ١٧٢، وفيه:

(حدّثني محمّدُ بنُ يحيى الصُّوليُّ، قال:

كانَ إبراهيمُ بنُ المدبّرِ يحبُّ جاريةً لِلمغنية المعروفةِ بالبَكريّةِ =

١ ـ أَلَمْ يَشُقْكَ ٱلتِماعُ البَرْقِ في السَّحَرِ؟
بَلىٰ وَهَيَّـجَ مِنْ وَجْـدٍ ومِن ذِكَـرِ
٢ ـ مَا زالَ دَمْعِي غَزِيرَ القَطْرِ مُنْسَجِماً
سَحّاً بِـأَربَعَـةٍ تَجـرِي من الـدُّرَرِ
٣ ـ وقُـلْتُ لِلْغَـيْـثِ لَـمَّـا جَـادَ وَابِـلُهُ
وَمَـا شَجَاني مِن الأَحْـزانِ والسَّهَـرِ
٤ ـ يَا عَارِضاً قاطِـراً أَمْطِرْ علَى كَبِـدِي
فَـإِنَّهـا كَبِـدٌ حَـرَّىٰ مِن الفِكَـرِ
٥ ـ لَشَـدَّ مَا نـالَ مِنّي الدَّهـرُ واعتَلَقَتْ
يَدُ الزَّمانِ وَأَوْهَتْ مِن قُوَى مِرَرِي
٦ ـ يَـا وَاحِـدِي مِن عِبَـادِ اللَّهِ كُلِّهُمُ
وَيَـا غِنَـايَ وَيَـا كَهْفِي وَيَـا وَزَرِي

.....

= بُسرٌ مَن رأى فقال فيها... وأنشدَها أبو عبدِ اللّهِ بنُ حمدونَ هذهِ الأبياتَ، وَغنّت بها، وجعل يكرر قوله:

الخمرُ من فيكِ لمن ذاقَه

ويقولُ: هذا واللهِ قولُ خبيرٍ مُجرّبٍ، فاستَحيتْ من ذلك، وسَبَّتْ إبراهيمَ، فبلغه ذلك، فكتبَ إلى أبي عبدِ الله يقول).

التعريف:

٢ ـ في رواية: (بأربعة تهمي).
مُنسجماً: مُنصبّاً. سَحّاً: منصبًّا مُتتابعاً كثيراً.
٣ ـ الوَابِلُ: المطرُ الشّديدُ الضَّخْمُ القطر.
٤ ـ العَارِضُ: السَّحابُ المُطِلُّ. كَبِدٌ حَرَّى: يَابسةٌ من عَطَشٍ أو حُزْنٍ.
٥ ـ اِعتَلَقَتْ: نَشبتْ. مِرَرِي: قواي، جمعُ مِرَّةٍ.
٦ ـ الكَهْفُ، والوَزَرُ: المَلجأُ والمُعْتَصَمُ. في رواية: (ويا غياثي).

٧ ـ أَحِينَ أَنْشَدْتَ شِعْرِي في مَعَذِّبتي
أَمَا رَثَيْتَ لَها مِنْ شِدَّةِ الحَصَرِ؟
٨ ـ وَمَا شَفَعْتَ بِها شِعْرِي وَقُلْتُ بِهِ
في رِيقِها البَارِدِ السَّلْسَالِ ذِي الخَصَرِ
٩ ـ لَبِئْسَ مُسْتَنْصَحاً في مِثْلِ ذلكَ يَا
نَفْسي فِداؤكَ مِنْ مُسْتَنْصَحٍ غَدِرِ
١٠ ـ واليومَ يومٌ كَرِيمٌ لَيسَ يُكْرَمُهُ
إلَّا كَرِيمٌ مِن الفِتيانِ ذُو خَطَرِ
١١ ـ نَشَدْتُكَ اللَّهَ فَاصْحَبْهُ بِصُحْبَتِهِ
مُبَاكِراً، فَأَلَذُّ الشُّرْبِ في البُكَرِ
١٢ ـ وَاجْمَعْ نَدامَاكَ فيهِ وَاقْتَرِحْ رَمَلاً
صَوْتاً تُغَنِّيهِ ذَاتُ الدَّلِّ والخَفَرِ
١٣ ـ يَرْتَاحُ لِلْدَّجْنِ قَلْبي وَهْوَ مُقْتَسَمٌ
بَينَ الهُمُومِ ارْتِيَاحَ الأَرْضِ لِلمَطَرِ
١٤ ـ يَا غَادِراً يَا أَحَبَّ النَّاسِ كُلِّهِمُ
إِلَيَّ وَاللَّهِ مِن أُنْثَى وَمِنْ ذَكَرِ

---

٧ ـ الحَصَرُ: ضِيقُ الصَّدْرِ.
٨ ـ الخَصَرُ: البَرْدُ.
٩ ـ الخَطَرُ: المَثيل في الشَّرَفِ والرِّفعةِ.
١١ ـ في رواية: (فأصبحه). نَشَدَ فلانٌ فلاناً: قصدَه وسألَه.
١٢ ـ ذات دلّ: ذاتُ شكْلٍ تُدِلُّ به. الخَفَرُ: الحَياءُ.
١٣ ـ في رواية: (يَرْتاحُ لِلذِكرِ). الدَّجْنُ: إلباسُ الغَيْمِ الأرضَ وأقطارَ السَّماءِ.

١٥ ـ وَيَـا رَجَائي وَيَـا سُؤْلي وَيَـا أَمَلي
وَيَا حَياتي وَيَا سَمْعِي وَيَا بَصَـرِي
١٦ ـ وَيَـا مُنَايَ وَيَـا نُورِي وَيَـا فَـرَحِي
وَيَا سُرورِي وَيَا شَمْسِي وَيَا قَمَرِي
١٧ ـ لا تَقْبلي قَـولَ حُسَّـادِي عَلَيَّ وَلا
وَاللّهِ مَا صَدَقُوا في القَوْلِ والخَبَرِ
١٨ ـ أَدالَني اللَّهُ مِن دَهْـرٍ يُضَعْضِعُـني
فَقَـدْ حُجِبْتُ عَن التّسليمِ والنَّـظَرِ
١٩ ـ إِنْ يَحْجُبُوا عَنكِ في تَقْدِيرِهم بَصَرِي
فَكَيْفَ لَمْ يَحْجُبُوا ذِكرِي ولا فِكَرِي؟
٢٠ ـ يَا قَومُ قَلبي ضَعِيفٌ مِنْ تَـذَكُّرِهـا
وَقَلْبُهـا فَـارِغٌ أَقْسَى مِن الحَجَـرِ
٢١ ـ الـلَّهُ يَـعْـلَمُ أَنّـي هَـائِـمٌ دَنِـفٌ
بِغَـادَةٍ لَيتَهـا حَـظِّي مِن البَشَـرِ

---

١٧ ـ في رواية: (فلا).
١٨ ـ أَدالَني اللّهُ: نَصرَني.
٢١ ـ دَنِفٌ: مَريضٌ مُشْفٍ على الموتِ.
الغادةُ: الناعمةُ اللّيّنةُ من الفتيات.

* * *

ـ ٢٥ ـ

وقال: (سريع)

.....

التخريج:

الأغـاني ٢٢/١٨٠، وفيـه: (وأنشـدني (أي الصـولي) أيضـاً لـه).
والأبيات في نهاية الأرب ٥/١٠٦.

١ ـ إنَّ عَـرِيـبـاً خُـلِقَـتْ وَحْـدَهـا
في كُـلِّ مـا يَحسُنُ مِن أَمْـرِهـا
٢ ـ وَنِـعْـمَـةٌ لِـلَّهِ فـي خَـلْقِـهِ
يُـقَصِّـرُ الـعَـالَمُ عَـنْ شُكْـرِهـا
٣ ـ أَشْـهَـدُ فـي جَـارِيَـتَيْـهَـا عـلَى
أَنَّـهُـمـا مُـحْـسِـنَـتَـا دَهْـرِهـا
٤ ـ فَـبِـدْعَـةٌ تُـبْـدِعُ فـي شَـدْوِهـا
وَتُـحْـفَـةٌ تُـتـحِـفُ فـي زَمْـرِهـا
٥ ـ يَـا رَبِّ أَمْـتِـعْـهَـا بِـمَـا خُـوِّلَـتْ
وَآمِـدْدْ لَـنـا يَـا رَبِّ فـي عُـمْـرِهـا

التعريف:
٣ ـ نهاية الأرب: (أشهدني جاريتاها).
٤ ـ نهاية الأرب: (في شجوها).
٥ ـ نهاية الأرب: (وامدد لها)، خُوِّلَتْ: أُعطِيَتْ.

* * *

ـ ٢٦ ـ

وقال: (منسرح)

.....

التخريج:
مروج الذهب ٣/٥، وفيه: (وبايعَ المتوكّلُ لبنيه الثلاثةِ: محمّدٍ المُنتصرِ باللّهِ. وأبي عَبدِ اللّهِ المعتزِّ باللّه، والمستعينِ باللّه (كذا، وهو خطأ والصحيح المؤيد) وفي ذلك يقولُ ابنُ المدبّرِ في ذكره لهذهِ البيعة).
كانت هذه البيعة في سنة ٢٣٥ هـ، ينظر الطبري حوادث هذه السنة.

١ ـ يَـا بيعـةً مِثْـلَ بَـيْعَـةِ الـشَّجَـرَة
فِيهـا لِـكُـلِّ الخَـلائـقِ الخِيَـرَه
٢ ـ أَكَّـدَهـا جَـعْـفَـرٌ وَصَـيَّـرَهـا
إِلى بَـنـيـهِ الـثَّـلاثـةِ الـبَـرَرَه

التعريف:

١ ـ بَيعةُ الشجرة: يشير إلى الشجرة التي بُويعَ تحتها الرسول ﷺ.
الخَلائق: جمع خَليقةٍ، ويُرادُ بها كلّ مخلوقٍ.
الخِيَرَة: ما يُختارُ.

* * *

ـ س ـ
ـ ٢٧ ـ

وقال: **(منسرح)**

١ ـ قُـلْ لِأَبي الشَّـرِّ إِنْ مَـرَرْتَ بـهِ
مَـقَـالَـةً عُـرِّيَـتْ مِـن الـلَّبَسِ

.....

التخريج:

الأغاني ٢٢/١٧٥ ـ ١٧٦، وفيه:

(حدَّثني عمّي قالَ: حدَّثني محمّدُ بنُ داودَ قالَ:
كانَ عيسى بنُ إبراهيمَ النَّصرانيُّ المكنَّى أبا الخيرِ كاتبُ سعيدِ بنِ صالحٍ يَسْعَى على إبراهيمَ بنِ المدبّرِ في أيَّام نكبتِهِ، فلما زالتْ، ومات سعيدٌ نُكِبَ عيسى بنُ إبراهيمَ وحُبِس، ونُهِبتْ دارُه فقالَ فيهِ إبراهيمُ بنُ المدبّرِ).

التعريف:

١ ـ في رواية: (من الدَّنس). اللَّبسُ: الشُبهةُ وعدم الوضوح.

obeikandl.com

٢ ـ أَلْبَسَكَ اللَّهُ مِنْ قَوارِعِهِ
آخِذَةً بالخِناقِ والنَّفَسِ
٣ ـ لا زِلْتَ يا ابنَ البـ . . . ـراءِ مُرْتَهناً
في شَرِّ حَالٍ وَضِيقٍ مُحْتَبَسِ
٤ ـ أَقولُ لَمَّا رَأَيْتُ مَنْزِلَهُ
مُنْتَهَباً خالِياً من الأَنَسِ:
٥ ـ يا مَنْزِلاً قَدْ عَفا مِنِ الطَّفَسِ
وَساحَةً أُخْلِيَتْ مِنَ الدَّنَسِ
٦ ـ مَنْ لِاقْتِرافِ الفَحْشاءِ بَعْدَ أَبي الشَّـ
ـرِّ وَمَنْ لِلقَبيحِ والنَّجِسِ؟

---

٢ ـ قوارعه: مصائبه. الخِنَاق: الحَلْق.
٣ ـ مُرْتهناً: محبوساً.
٤ ـ الأَنَسُ: المُؤانسون، جَمعُ أَنيس.
٥ ـ عَفا: درسَ وامَّحى. الطَّفَسُ: الدَّنَسُ.

* * *

ـ ض ـ

ـ ٢٨ ـ

وقال: (بسيط)

.....

التخريج:

نشوار المحاضرة ١/٢٧١، وفيه عن إبراهيمَ بنِ المدبّر قال:

(كنتُ أتعشّقُ عَريبَ، دهراً طويلاً، وأنفقتُ عليها مالاً جليلاً، فلمّا قصدني الزمانُ، وتركتُ التصرفَ، ولَزِمتُ البيتَ، كانتْ هي أيضاً، قد =

١ ـ إنْ كـانَ لَيْلُكَ نَوْمـاً لا انقضَاءَ لَـهُ
فَـإنَّ جَـفْنِـيَ لا يُثْـنَى لِـتَغْـمِيضِ

.....

= أَسَنَّت، وتابتْ من الغناء، وزَمِنتْ. فكنتُ جالساً يوماً، إذْ جاءَني بوَّابي، وقال: طيّارُ عَريبَ بالباب، وهي فيه تستأذن. فعَجِبتُ من ذلك، وارتاحَ قلبي إليها، فقمتُ حتّى نزلتُ إلى الشّطِّ، فإذا هي جالسةٌ في طيّارِها. فقلت: يا سِتي، كيفَ كان هذا.

قالتْ: اشتَقتُ إليك، وطالَ العهدُ، فأَحببتُ أَنْ أُجدّدَه، وأشربَ عندَك اليومَ، قلتُ: فاصعدِي، قالت: حتّى تجيء محفّتي. قال: فإذا بطيّارٍ لطيفٍ، قد جاء وفيه المحفّةُ، فأُجلسَتْ فيها، وأصعدَ بها الخدمُ. وتحدّثنا ساعةً، ثُمَّ قُدِّمَ الطّعامُ، فأكلنا، وأُحضِرَ النبيذُ، فشربتُ، وسقيتُها فَشربتْ، وأَمرت جواريَها بالغناء، وكانَ معَها منهنَّ عدّةٌ، مُحسناتٌ، طِيَّابٌ، حُذَّاقٌ، فَتَغنَيْنَ أحسنَ غناءٍ وأطيبَه، فَطربتُ وسُرِرْتُ. وقد كنتُ قبلَ ذلك بأَيّامٍ، عملتُ شعراً، وأنا مُولعٌ في أكثرِ الأوقاتِ بتَرديده، وإنشادِه، وهو...

فقلت لها: يا ستّي، إنّي عَملتُ أبياتاً، أشتهي أَنْ تصنعي فيها لحناً، فقالت: ياأبا إسحاقَ مع التوبة؟ قلت لها: فاحتالي في ذلك كيفَ شِئتِ. فقالت: روِّ هاتينِ الصَّبيتينِ الشعرَ، وأومأتْ إلى بدعةَ وتُحفةَ جاريتيها. فحفّظتهما الشعرَ، وفكّرتْ ساعةً، ووقّعَتْ بالمروحةِ على الأرض، وَزَمزَمَتْ معَ نفسِها، ثم قالتْ لهما: أصلحا الوترَ الفلانيَّ على الطريقة الفلانيّة وأضربا بالإصبع الفلانيّة، وافعلا كذا وكذا، إلى أن فتح لهما الضرب، ثم قالت: غنّياه على الطريقة الفلانيّة، واجعلا في الموضعِ الفلانيّ كذا. فَغنّتاهُ، كأنّهما قد سَمعتاهُ قبلَ ذلكَ دَفعاتٍ، وما خرجَ الغناءُ من بينِ شفتيها.

فَطربتُ وقلتُ في نفسي: عَريبُ تَزورُني وتلحِّنُ شعري، وهي على كلِّ حالٍ مُغنيّةٌ، وتَنصرفُ من عندِي صفراً؟ واللهِ، لا كانَ هذا، ولو أنّني متُّ ضرّاً وجوعاً وفقراً. فقمت إلى جواريَّ، وشرحتُ الحال لهنَّ، وقلتُ: =

٢ ـ كَأَنَّ جَنْبِيَ في الظَّلْمَاءِ تَقْرِضُهُ
عَلَى الحَشِيَّةِ أَطْرافُ المَقَارِيضِ
٣ ـ اسْتَودِعُ اللَّهَ مَنْ لا أَسْتَطِيعُ لَهُ
شَكْوَى المَحَبَّةِ إلَّا بِالمَعارِيضِ

. . . . . .

= عاونّني بما يحضركُنَ فدفعتْ إليَّ هذهِ خلخالاً، وهذهِ سواراً، وهذهِ عِقدَ حَبٍّ وهذه مرجان، إلى أن اجتمع لي من حليهنّ ما قيمتُه ألفُ دينار.

قال: واستدعيتُ زنبيلاً مُشبَّكاً ذهباً كانَ عندي. فيه مائةُ مثقالٍ، فجعلتُ ذلك فيه، وخرجتُ به إليها، وقلت: يا سيّدتي، هذهِ طُرَفٌ، أحببتُ إتحافَ هاتين الصَّبيتين بها، فأُحبُّ أنْ تأمريهما بأخذِها، فامتنعتْ امتناعاً ضعيفاً، وقالت: يا أبا إسحاقَ، بيننا اليومُ هذا، أو فَضَل فَضْلٌ له؟ فقلت: لا بُدَّ، فقالتْ لهما: خُذاه، فأخذتاهُ، وجلستْ إلى وقتِ المغرب. ثمَّ قامتْ لِتنصرف فشيّعتُها إلى دجلةَ. فلمَّا أرادتْ الجلوسَ في طيّارِها. قالتْ: يا أبا إسحاقَ لي حاجةٌ. قلت: مري بأمرِكَ. قالت: قد ابتاعَتْ فلانةٌ، أمُّ ولدِك، ضيعةً يقالُ لها كذا، وهي تجاورُني، وأنا شفيعتها، وأُريدُ أنْ تأمرها بأخذِ المالِ منّي والنزول عنها لي. فعلمتُ أنها إنّما جاءتْ لهذا السببِ. فقلت: مكانَكِ، فتوقّفتْ في الطيّار. فدخلتُ إلى أمّ وَلَدِي وضَمِنت لها المالَ، وأخذت العهدةَ بالضّيعةِ، فجئتُ بها إليها. وقلت: قد وهبتُها لك، وَضَمنتُ المالَ لها، وفي غدٍ أتقدّمُ بالإشهادِ لك في ظهر الكتاب، فخذيه معك عاجلاً. فشكرتني ومضتْ وكانَ شراءُ الضيعةِ ألفَ دينار. فقامَ عليَّ يومُها، وتلحينُها هذا الشعرَ بألفي دينارٍ ومائة دينار).

التعريف:

٢ ـ المقاريضُ: جمعُ مِقْراضٍ: المِقَصُّ. الحَشِيَّةُ: الفِراشُ المَحْشوُّ.

٣ ـ المَعارِيضُ: جَمعُ مِعْرَاضٍ. التّوريةُ والفَحْوَى، وأصلُه السِّتْرُ.

* * *

ـ ط ـ

ـ ٢٩ ـ

وقال: (منسرح)

١ ـ يَا كَاشِفَ الكَرْبِ بَعْدَ شِدَّتِه
وَمُنْزِلَ الغَيْثِ بَعْدَمَا قَنَطُوا

٢ ـ لا تَبْلُ قَلْبي بِشَحْطِ بَيْنِهِمُ
فَالمَوتُ دَانٍ إذا هُمُ شَحَطُوا

.....

التخريج:

معجم الأدباء ١/٢٢٨ ـ ٢٢٩، والوافي بالوفيات ٦/١٠٩، وفوات الوفيات ١/٤٧.

التعريف:

١ ـ قَنَطُوا: يَئِسوا أشدَّ اليأس.

٢ ـ لا تبلُ: لا تَمتَحِنْ. الشَّحْط: البُعْدُ.

* * *

ـ ع ـ

ـ ٣٠ ـ

وقال: (كامل)

١ ـ أَأُخَيَّ إنَّ أَخاكَ مُذْ فارقْتَهُ
شَوْقاً إليكَ فُؤَادُهُ يَتقَطَّعُ

.....

التخريج:

الوافي بالوفيات ٦/١١٠.

٢ ـ يَشكُـو جَفـاءَكَ مُعْـلِنـاً بِلسـانِـهِ
وَفُؤَادُهُ مِنْ خَـوْفِ غَـدْرِكَ يُـوجَـعُ
٣ ـ وَيَقـولُ مُعْتَـذِراً إلى مَـنْ لامَـهُ:
إنَّ الـشَّقِـيقَ بِـسُـوءِ ظَنٍّ مُـولَـعُ
٤ ـ اِسْلَمْ وَكُنْ لي كَيْفَ شِئْتَ علَى النَّوَى
مَهْمَـا فَعَلْتَ فَلَسْتُ مِمّنْ يَـقْـطَعُ

التعريف:
٤ ـ النوى: البُعْدُ.

* * *

ـ ف ـ
ـ ٣١ ـ

وقالَ: (سريع)

١ ـ مَـا دُمْيَـةٌ مِـنْ مَـرْمَـرٍ صُـوِّرَتْ
أَوْ ظَـبْيَـةٌ فـي خَـمَـرٍ عَـاطِـفُ

.....

التخريج:
أمالي القالي ١/ ٢٩، وفيه: (أنشدَنا الأَخفشُ عليُّ بنُ سليمانَ، قال: أنشدني إبراهيمُ بنُ المدبّرِ لنفسه)، والأبيات في شرح مقصورة ابن دريد (٦٠)، وفيه: (وأنشدنا أبو علي الروذري)، فوات الوفيات ٦/ ١٠٩، والأوّل في سمط اللآلي ١/ ١٣٤.

التعريف:
١ ـ الفوات: (في مَرْمَرٍ).

٢ ـ أَحْسَنَ مِنهـا يَـوْمَ قَـالَتْ لَنَـا
وَآلـدَّمَـعُ مِـنْ مُـقْـلَتِـهـا ذَارِفُ
٣ ـ لأَنْتَ أَحْلَى مِنْ لَـذِيـذِ الكَـرَى
وَمِـنْ أَمَـانٍ نَـالَـهُ خَـائِـفُ

= الدُّمْيَةُ: الصورةُ المُمثَّلَةُ من العاجِ وغيره، يُضربُ بها المَثَلُ في الحسنِ.
الخَمَرُ: ما وارَى الشيءَ من شجرٍ أو بناءٍ أو جبلٍ أو نحوه.
عاطف: عَطفتْ الظَّبيةُ: أمالَتْ عُنُقَها وَحَنَتْهُ.

* * *

ـ ٣٢ ـ

وقالَ: (مُجتث)

١ ـ يَـا قَـلْبِ أَنْـتَ وَطَـرْفـي
شُـغْـلي وَدَائـي وَحَـتْـفِـي
٢ ـ مُـوتَـا فَـلا كَـانَ إِلْـفٌ
يُـعِـيـنُ فـي قَـتْـلِ إِلْـفِ
٣ ـ هَـذا فَـعَـالـي بِـنَـفْـسـي
أَخـذْتُ حَـتْـفِـي بِـكَـفِّـي
٤ ـ أَنـا الـضَّـعِـيـفُ عـلَى الـهَـجْـ
ـرِ، فـارْحَـمُـوا ذُلَّ ضَـعْـفِـي

.....

التخريج:
الوافي بالوفيات ٦/١١٠.

٥ ـ مِـنْ ضَـعْـفِ رُكْـنـيَ أنّـي
لَـيْـثٌ فَـرِيـسَـةُ خِـشـفِ

التعريف:

٥ ـ الخِشفُ: وَلَدُ الظّبيةِ أوّلَ ما يُولَدُ.

* * *

ـ ق ـ

ـ ٣٣ ـ

وقال: (خفيف)

١ ـ وَصَـدِيـقٍ تَـراهُ حُـلْواً أَنِـيـقَـاً
مُـؤْنِسـاً مُـلْطِفـاً حَفَـيّـاً شَفِـيقَـا
٢ ـ ثمَّ لمَّـا رَمَـانيَ الـدَّهْـرُ بِـالغِلْـ
ـظَةِ منـهُ، صَـارَ البَعِيـدَ السَّحِيقـا

.....

التخريج:

إعتاب الكتاب: ١٦٢، وفيه:

(وكانَ إبراهيمُ يقولُ: نُكبنا نكبةً من نكباتنا، فسقطَ من إخواننا من كنا نجعلُ من أهلِ الودّ، فكتبتُ إلى بعضهم).

التعريف:

١ ـ أنيقاً: حسناً مُعجباً. حفيّاً: لطيفاً رقيقاً.

٢ ـ الغِلظة: الفظاظة والقسوةُ.

* * *

obeikandl.com

ـ ك ـ

ـ ٣٤ ـ

وقال: (سريع)

١ ـ غَـادَرْتِ قَلْبِي في إِسَارٍ لَـدَيـكْ
فَـوَيْلَتَـا مِنـكِ، وَوَيْـلي عَلَيـكْ

٢ ـ قَـدْ يَـعـلَمُ الـلَّهُ عـلَى عَـرْشِـه
أَنّي أُعَـاني المَـوْتَ شَـوْقـاً إِلَيـكْ

٣ ـ مُـنِّـي بِـفَـكِّ الأَسْـرِ أَوْ فـاقْـتُـلِي
أَيَّـهمـا أَحْـبَبْـتِ مِنْ حُـسْنَـيَـيْـكْ

٤ ـ قَـدْ كُنتُ لا أُعْـدِي على ظَـالمٍ
فَصِـرْتُ لا أُعْـدِي علَى مُقْلَتَيْـكْ

٥ ـ الـخَمْـرُ مِـن فِـيـكِ لِـمَـنْ ذَاقَـهُ
والـوَرْدُ لِلنَّـاظِـرِ مِنْ وَجْـنَتَـيْـكْ

٦ ـ يَـا حَسْـرَتَـا إِنْ مُتُّ طَـوْعَ الهَـوَى
وَلَمْ أَنَـلْ مـا أَرْتَجِـيـهِ لَـدَيْـكْ

.....

التخريج:

الأغاني ٢٢/١٦٩ ـ ١٧٠، (يحسن النظر في تخريج الرقم «٢٤»).

التعريف:

١ ـ في رواية: (فالويلُ لي منكِ)، وفي أخرى: (غُودِرَ قلبي).

٢ ـ في رواية: (فَلْيعلمِ اللَّهُ تَعالى اسمُه).

٣ ـ مُنِّي: أنعمي.

٤ ـ لا أُعدِي: لا أُعين.

* * *

وقال: (خفيف)

١ ـ كَيفَ أَصبحْتَ يَـا جُعِلْتُ فِـدَاكَـا
إِنَّـني أَشْـتَكِي إِلـيـكَ جَـفَـاكَـا
٢ ـ قَـدْ تَمادَى بِـكَ الجَفاءُ وَمَـا كُنْـ
ـتَ حَقِيقـاً ولا حَـرِيّـاً بِـذاكَـا
٣ ـ كُنْ شَبيهـاً بِمَنْ مَضَى جَعَـلَ اللَّـ
ـهُ لَـكَ العُمْرَ دَائِمـاً وَرَعَـاكَـا
٤ ـ إِنَّ شَهْـرَ الصِّيـامِ شَهْـرُ فِكَـاكٍ
أَنتَ فيـهِ وَنحنُ نَـرجُـو الفِكَـاكَـا
٥ ـ فَـآرْدُدِ الـخَـاتَمـيـنِ رَدّاً جَـمِـيـلاً
قَـدْ تَنَعَّمْتَ فِيهمـا مَـا كَفَـاكَـا

التخريج:

الأغاني ٢٢/١٦٤ ـ ١٦٥، وفيه:

(أخبرني جعفرُ بنُ قُدامةَ قال:

كانَ في إصبعِ إبراهيمَ بنِ المدبّرِ خاتمان وهبْتهما له عَريبُ، وكانا مشهورين لها، فاجتمع مع أبي العُبَيْسِ بنِ حمدونَ في اليومِ التاسعِ والعشرينَ من شعبانَ على شرب، فلما سكرا اتفقا على أن يصيرَ إبراهيمُ إلى أبي العُبَيْس، ويقيمَ عنده من غدٍ إنْ لم يُرَ الهلالُ، وأخذ الخاتمين منه رهناً. ورُئي الهلالُ في تلك الليلةِ، وأصبحَ الناسُ صياماً، فكتب إبراهيمُ إلى أبي العُبَيْس يطالبه بالخاتمين، فدافَعَه، وعَبِثَ به، فكتبَ إليه من غدٍ.

التعريف:

٥ ـ تَنَعَّمتَ: تمتعت. في رواية (تولعت).

٦ ـ يَـا أَبَـا عَـبْـدِ الـلَّهِ دَعْـوَةَ دَاعٍ
يَـرْتَجِي نُجْـحَ أَمْـرِهِ إِذْ دَعَـاكَـا
٧ ـ خَـاتَمَـايَ اللَّذانِ عِنـدَ أَبي العَبَّـ
ـاسِ قَـدْ شَـارَفَـا لَـدَيْـهِ الهَـلاكَـا
٨ ـ وَهْـوَ حُـرٌّ وَقَـدْ حَكـاكَ كَمـا أَنّـ
ـكَ في المَكـرُماتِ تَحْكي أَبـاكَـا

---

٦ ـ يا أبا عبد الله: يعني أبا عبد الله بن حمدون والد أبي العُبيس المخاطب بهذا الشعر.

* * *

ـ ٣٦ ـ

وقال: (كامل)

١ ـ قَـالُـوا أَضَـرَّ بِنَـا السَّحَـابُ بِـوَكْفِـهِ
لَـمَّـا رَأَوْهُ لِـمُـقْـلَتـي يَـحْـكِـي
٢ ـ لا تَعْجَبُـوا مِمَّـا تَـرَونَ فَـإِنَّـمَـا
هَـذِي السَّمـاءُ لِـرَحْمَتي تَبْكِي

.....

التخريج:

الوافي بالوفيات ١٠٩/٦، وفوات الوفيات ٤٧/١.

التعريف:

١ ـ الوَكْف: سَيَلانُ المطر وَقَطرُهُ قليلاً قليلاً.

* * *

ـ ل ـ

ـ ٣٧ ـ

وقال: (طويل)

١ ـ وَسَاءَلتمُوهُ بَعْدَكُمْ كَيْفَ حَالُهُ
وَذلكَ أَمْرٌ بَيِّنٌ لَيسَ يُشْكِلُ
٢ ـ فَلا تَسْأَلُوا عَنْ قَلْبِهِ فَهْوَ عِنْدَكُمْ
وَلكِنْ عَنِ الجِسْمِ المُخَلَّفِ فَاسْأَلُوا

.....

التخريج:

الأغاني ١٨١/٢٢، وفيه: (أخبرَني عليُّ بنُ العَبّاسِ بنِ طَلْحةَ الكاتبُ قال: قرأتُ جواباً بخطِّ إبراهيمَ بنِ المدبّرِ في أضعافِ رقعةٍ كتبتْها إليهِ عَرِيبُ، فوجدتُه قد كتبَ تحتَ فصلٍ من الكتابِ، تسألُه فيه عن خبره).

* * *

ـ م ـ

ـ ٣٨ ـ

وقال: (متقارب)

١ ـ أَحبَّتَنا بِأَبي أَنْتُمُ
وَسَقْياً لكُمُ حَيْثُما كُنْتُمُ
٢ ـ أَطَلْتُمْ عِنْدَ أبي بِمِيعادِكُمْ
وَقُلْتُم نَزُورُ فَمَا زُرْتُمُ

.....

التخريج:

الأغاني ١٥٦/٢٢.

٣ ـ فَأُمسِكَ قَلبي عَلَى لَوْعَتِي
وَنَمَّتْ دُمُوعِي بِمَا أَكْتُمُ
٤ ـ فَفِيمَ أَسَأْتُمْ وأَخْلَفْتُمُ
وَقِدْماً وَفَيْتُمْ وأَحْسَنْتُمُ

* * *

ـ ٣٩ ـ

وقال: **(مجزوء الكامل)**

١ ـ عَزِّ الطَّوِيلَ عَنِ الأَزِمَّه
لا رَدَّهُ رَبّي بِذِمَّه
٢ ـ إِنْ كانَ طَالَ فَإِنَّهُ
مِنْ أَقْصَرِ الثَّقَلَيْنِ هِمَّه
٣ ـ هَبْ كُنْتَ صُوْلاً نَفسَهُ
مَنْ كانَ صُوْلٌ..ك أُمَّه

.....

التخريج:

معجم الأدباء ٢٢٨/١، وفيه: (وقال يهجو إبراهيمَ بنَ العباسِ لصُولي).

التعريف:

١ ـ الأزمّة: جمعُ زِمام وهو العنانُ. الذّمة: العهد.

٢ ـ الثّقلان: الإنس والجن.

* * *

وقال: (خفيف)

١ ـ أيُّها الزَّائِرانِ حَيَّاكُما اللَّـ
ـهُ وَمَنْ أنتُما لَهُ بالسَّلامِ
٢ ـ مَا رَأَيْنا في الدَّهْرِ بَدْراً وشَمْساً
طَرَقَا ثُمَّ رَجَّعَا بالكَلامِ
٣ ـ كَيْفَ خَلَّفتُما عَرِيباً سَقَاهَا اللَّـ
ـهُ رَبُّ العِبادِ صَوْبَ الغَمَامِ
٤ ـ هِيَ كالشَّمسِ والحِسَانُ نُجومٌ
لَيْسَ ضَوْءُ النَّهارِ مِثْلَ الظَّلامِ
٥ ـ جَمَعَتْ كُلَّ ما تَفَرَّقَ في النَّا
سِ، وَصَارَتْ فَرِيدَةً في الأَنامِ

.....

التخريج:

الأغاني ٢٢/١٨٣، وفيه: (وحدَّثني (أي عليّ بن العباس) عن أبيه قال: كنت عند إبراهيمَ بنِ المدبّرِ فزارتْه بِدْعَةُ وتُحفةُ وأقامَتا عنده فأنشدنا يومئذ).

التعريف:

١ ـ في رواية: (أيُّها الرَّاكبانِ).

٢ ـ في رواية: (ثم رجعنا في الكلام). التّرجيعُ في الأصل: تَرديدُ الصوتِ على نحوِ ما يفعلُ الملحنون، والمرادُ هنا تكرار الاستئذان.

٣ ـ صَوْبُ الغمامِ: المطرُ بقَدْر ما ينفعُ ولا يؤْذِي.

* * *

وقال: (هزج)

١ ـ أَلَا يَا بِأَبِي أَنْتُمْ
نَأَتْ دَارٌ بِنَا عَنْكُمْ
٢ ـ فَإِنْ كُنتُمْ تَبدَّلْتُمْ
فَمَا مِنْ بَدَلٍ مِنْكُمْ
٣ ـ وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى العَهْدِ
فَأَحْسَنْتُمْ وَأَجْمَلْتُمْ
٤ ـ وَيَا لَيْتَ المُنَى حَقَّتْ
فَنُبْدِيهَا وَلا نكْتُمْ
٥ ـ فَكُنْتُمْ حَيْثُما كُنَّا
وَكُنَّا حَيْثُما كُنْتُمْ

.....

التخريج:

الأغاني ١٨٢/٢٢، وفيه: (وأنشدني عليُّ بنُ العبّاسِ لإبراهيمَ بنِ المدبّرِ وفيه لِعَرِيبَ هَزَجٌ).

التعريف:

١ ـ نَأَتْ: بَعُدتْ.

٣ ـ أَجْملْتُم: أحسنتم.

* * *

— ٤٢ —

وقال: (مجزوء الكامل)

١ ـ قُـلْ يَـا رَسـولُ لِـهـذِهِ
وَلِـهـذِهِ بِـأبـي هُـمَـا
٢ ـ قَـدْ كـانَ وَصْـلُكُـمـا لَـنـا
حَـسَـنـاً فَـفِـيـمَ قَـطَعْتُـمـا؟
٣ ـ أَعَـرِيـبُ سَـيِّـدةُ الـنِّـسـا
ءِ بِـهَـجْـرِنـا أَمَـرْتـكُـمـا؟
٤ ـ كَـلَّا وَبَـيْـتِ الـلَّهِ بَـلْ
هٰـذا جَـفَـاءٌ مِـنـكُـمـا

.....

التخريج:

الأغاني ١٨٢/٢٢، وفيه: (حدَّثني عليُّ بنُ سليمانَ قال: أنشدَني أبي قال: أنشدَني إبراهيمُ بنُ المدبّرِ، وقد كتبَ إلى بِدعَةَ وتُحفةَ يستدعيهما، فتأخّرتا عنه فكتبَ إليهما).

* * *

— ن —

— ٤٣ —

وقال: (رمل)

.....

التخريج:

الأغاني ١٨٥/٢٢، (يحسن النظر في تخريج الرقم «٢٠»).

١ ـ وَجَـلا عَنْ وَجْـهِ دَعْـدٍ مَـوْهِنـاً
عَجَبـاً مِنـهُ سَنـاً أَبـدَى سَنـا

التعريف:

١ ـ موهناً: نصف الليل.

* * *

ـ ٤٤ ـ

وقال: (بسيط)

١ ـ يَا نَبْتُ يَا نَبْتُ قَدْ هَامَ الفُؤَادُ بِكُمْ
وَأَنتِ ـ واللَّهِ ـ أَحْلَى الخَلْقِ إنسانا
٢ ـ أَلاَ صِلِيني فَـإِنّي قَـدْ شُغِفْتُ بِكُمْ
إِنْ شِئْتِ سِـرّاً وإِنْ أَحْبَبْتِ إِعْلانـا

* * *

ـ ٤٥ ـ

وقال: (رمل)

.....

التخريج:

الأغـاني ٢٢/١٦٨ ـ ١٦٩، وفيه: (حـدَّثني عمي، قال: حـدَّثني محمّدُ بنُ داودَ قال: كتبَ إبراهيمُ بنُ المدبّرِ إلى أبي عبدِ الله بن حمدون، في أيام نكبته يسأله إذْكارَ المتوكلِ والفتحِ بأمره... فلم يزالوا في أمره حتى خلّصوه).

والأبيات في أعتاب الكتاب ١٦٠.

١ ـ كَمْ تُرَى يَبْقَى عَلَى ذَا بَدَني
قَدْ بَلِي مِنْ طُولِ هَمٍّ وَضَنِي
٢ ـ أَنا في أَسْرٍ وَأَسْبابِ رَدَىً
وَحَدِيدٍ فَادِحٍ يَكْلِمُني
٣ ـ يَابْنَ حَمدونَ فَتَى الجُودِ الذي
أَنا مِنهُ في جَنَى وَرْدٍ جَنِي
٤ ـ مَا الذي تَرْقُبُهُ أَمْ مَا تَرَى
في أَخٍ مُضْطَهَدٍ مُرْتَهَنِ!
٥ ـ وَأَبو عِمْرانَ مُوسىٰ حَنِقٌ
حَاقِدٌ يَطْلُبني بِالإِحَنِ
٦ ـ وَعُبَيْدُ اللَّهِ أَيْضاً مِثْلُهُ
وَنَجاحٌ بي مُجِدٌّ مَا يَني
٧ ـ لَيسَ يَشفيهِ سِوَى سَفْكِ دَمي
أَوْ يَراني مُدْرَجاً في كَفَني
٨ ـ والأَميرُ الفَتْحُ إِنْ أَذكَرْتَهُ
حُرْمَتي قَامَ بِأَمْرِي وَعُنِي

التعريف:

١ ـ ضَني: نحلَ.

٢ ـ فَادِح: ثقيل. يكلمني: يجرحُني.

٣ ـ الجَنَى: كلُّ ما يُجْنَى من الشَّجرِ. الجَنِيُّ: مَا جُنِيَ لساعتهِ من كلّ ثمر.

٥ ـ أبو عمران: هو موسى بن عبد الملك، كان على ديوان الخراج في عهد المتوكل.

٦ ـ في أعتاب الكتاب: (ونجاحٌ فمجدٌّ لا يني).
يَني: يضعفُ ويفترُ ويكلُّ.

٧ ـ أعتاب الكتاب: (في كفنِ).

٩ ـ فَـأْلُ صِـدْقٍ حِينَ أَدعُـو بـآسمِـهِ
وَسُـرورٍ حِـينَ يَـعْـرُو حَـزَني

١٠ ـ قُـلْ لـهُ: يَـا حُسْنَ مـا أَولَيْتَني
مَـا لِـمَـا أَوْلَـيْـتَـني مِـنْ ثَـمَنِ

١١ ـ زَادَ إِحْسـانَـكَ عِـنـدِي عِـظَمـاً
أَنَّـهُ بَـادٍ لِـمَـنْ يَـعْـرِفُـنـي

١٢ ـ لَسْتُ أَدرِي كَيفَ أَجْـزِيـكَ بـهِ
غَـيْـرَ أَنّـي مُـثْـقَـلٌ بِـالـمِـنَـنِ

١٣ ـ مَـا رأَى القَومُ كَـذَنْبِي عِنـدَهُمْ
عُـظْمُ ذَنْـبِـي أَنَّـنـي لَـمْ أَخُـنِ

١٤ ـ ذَاكَ فِـعْـلى وَتُـراثـي عَـنْ أَبـي
وَٱقْـتِـدائي بِـأَخِـي فـي الـسُّـنَـنِ

١٥ ـ سُـنَّـةٌ صَـالِـحَـةٌ مَـعْـروفَـةٌ
هِـيَ مِـنَّـا فـي قَـديـمِ الـزَّمَـنِ

١٦ ـ ظَـفِـرَ الأَعْـداءُ بي عَـنْ حِـيلَةٍ
وَلَـعَـلَّ الـلَّهَ أَنْ يُـظْفِـرَنـي

١٧ ـ لَـيـتَ أَنّي وَهُـمُ فـي مَـجْـلِسٍ
يَـظْهَـرُ الـحَـقُّ بـهِ لِـلفَـطِنِ

١٨ ـ فَـتَـرى لـي وَلَـهُـمْ مَـلْحَـمَـةً
يَـهْلِكُ الـخَـائِنُ فِـيهـا والـدَّنـي

---

٩ ـ يعرو: يُلِمُّ ويُصيب.

١٤ ـ السُّنَنُ: جمعُ سُنَّةٍ، وهي الطريقةُ والسِّيرةُ.

١٩ ـ وَالـذي أَسْـأَلُ أَنْ يُـنـصِـفَـنـي
حَـاكِـمٌ يَـقْـضِـي بِـمَـا يَـلْزمُـني
٢٠ ـ قُـلْ لِـحَـمـدونَ خَـلـيـلي وابـنـهِ
ولِـعـيـسىٰ حَـرِّكُـوهُ يَـا بَـنـي

* * *

ـ ٤٦ ـ

وقال: (طويل)

١ ـ أَيَـا سَـاقِيَيْنَـا وَسْطَ دَيْـرِ سُلَيْمـانِ
أَدِيـرا الكُؤُوسَ فَآنِهـلاني وَعُـلَّاني

.....

التخريج:

الأغاني ٢٢/١٧٦ ـ ١٧٧، وفيه: (أخبرَني جَعفرُ بنُ قدامةَ قال: وَلِيَ إبراهيمُ بنُ المدبِّرِ بِعَقِبِ نكبتِه وزَوالِها عَنهُ الثُّغورَ الجزرية، فكان أكثرُ مُقامه بِمَنبِجَ (من أعمال حلب)، فخرجَ في بعض أيام ولايتِهِ إلى نواحي دَلوكَ (بُلَيْدَة من نواحي حلب)، ورَعْبَانَ (مدينة بين حلبَ وسُمَيْساطَ)، وخلَّف بِمَنبَج جاريةً كانَ يتحظاها يُقالُ لها غَادِرُ، فَحدَّثني بَعضُ كتّابِهِ أنه كانَ معه بِدَلوكَ، وهو على جبلٍ من جبالها، فيهِ دَيْرٌ يُعرف بديرِ سُلَيمانَ من أحسنِ بِلادِ اللهِ وأَنزهها، فنزل عليه وَدَعا بطعامٍ خَفيفٍ فأَكلَ وشَرِبَ، ثُمَّ دَعَا بِدَواةٍ وقِرْطَاسٍ فكتبَ).

والأبيات مع حكايتها في معجم البلدان ٢/٥١٦ عن الأغاني.

التعريف:

١ ـ إِنْهلاني وَعُلَّاني: النَهْلُ: الشُّرْبُ الأول، والعَلُّ: الشُّرْب الثاني.

٢ ـ وَخُصَّا بِصَافِيهَا أَبَا جَعْفَرٍ أَخِي
وَذَا ثِقَتِي بَيْنَ الأَنَامِ وَخُلْصَانِي

٣ ـ وَمِيلا بِهَا نَحْوَ ٱبنِ سَلَّامٍ الذي
أَوَدُّ، وَعُودَا بَعْدَ ذَاكَ لِنُعْمَانِ

٤ ـ وَعُمَّا بِهَا النُّدْمَانَ والصَّحْبَ إِنَّني
تَنَكَّرْتُ عَيْشي بَعْدَ صَحْبِي وَإِخْوَاني

٥ ـ وَلا تَتْرُكَا نَفْسِي تَمُتْ بِسَقَامِهَا
لِذِكْرَى حَبِيبٍ قَدْ شَجَاني وَعَنَّاني

٦ ـ تَرَحَّلْتُ عَنْهُ عَنْ صُدُورٍ وَهِجْرَةٍ
وَأَقْبَلَ نَحْوِي وَهْوَ بَاكٍ فَأَبْكَاني

٧ ـ وَفَارَقْتُهُ وَاللَّهُ يَجْمَعُ شَمْلَنَا
بِلَوْعَةِ مَحْزُونٍ وَغُلَّةِ حَرَّانِ

٨ ولَيْلَةَ عَيْنِ المَرْجِ زَارَ خَيَالُهُ
فَهَيَّجَ لي شَوْقاً وَجَدَّدَ أَشْجَاني

٩ ـ فَأَشْرَفْتُ أَعْلَى الدَّيْرِ أَنْظُرُ طَامِحاً
بِأَلْمَحِ آمَاقٍ وَأَنْظَرِ إِنْسَانِ

---

٢ ـ معجم البلدان: (فذا ثقتي)، الخُلْصان: الخالصُ من الإخوان.

٤ ـ معجم البلدان: (وَعُمَّا بها النُّعمانَ).

٥ ـ معجم البلدان: (قد سَقاني وغَنَّاني). عنّاني: كلّفني ما يشقُّ عليّ.

٦ ـ معجم البلدان: (فأقبل).

٧ ـ غُلَّةُ حَرَّان: الغُلّة: شدَّةُ العَطَشِ وحرارتُه، الحَرَّان: العَطْشانُ.

٨ ـ عينُ المَرْج: (قَرية من نواحي سامراء وكانت من منتزهات بغداد) عن هامش الأغاني ١٧٧/٢٢.

٩ ـ طامحاً: مُتطلِّعاً مُستَشرِفاً، إنسانُ: أيْ إنسانُ العينِ وهو ناظرُها.

١٠ ـ لَعَلِّي أَرَى أَبْيَاتَ مَنْبَجِ رُؤْيَةً
تُسَكِّنُ مِنْ وَجْدِي وَتَكْشِفُ أَحْزَانِي

١١ ـ فَقَصَّرَ طَرْفِي وَٱسْتَهَلَّ بِعَبْرَةٍ
وَفَدَّيْتُ مَنْ لو كانَ يَدْرِي لَفَدَّانِي

١٢ ـ وَمَثَّلَهُ شَوْقِي إِلَيهِ مُقَابِلِي
وَنَاجَاهُ قَلْبِي بِالضَّمِيرِ وَنَاجَانِي

---

١١ ـ استهلّ: انصبَّ.

١٢ ـ معجم البلدان: (وَناجاه عني بالضمير). نَاجَاهُ: سَارَّهُ.

* * *

ـ ٤٧ ـ

وقال: (متقارب)

١ ـ أَلا يَا عَرِيبُ وُقِيتِ الرَّدَى
وَجَنَّبَكَ اللَّهُ صَرْفَ الزَّمَنْ

٢ ـ فَإِنَّكِ أَصبحْتِ زَيْنَ النِّساءِ
وَوَاحِدَةَ النَّاسِ في كُلِّ فَنّ

٣ ـ فَقُرْبُكِ يُدْنِي لَذِيذَ الحَياةِ
وَبُعْدُكِ يَنْفِي لَذِيذَ الوَسَنْ

.....

التخريج:

الأغاني ٢٢/١٧٩، وفيه: (وأنشدني الصّولي أيضاً له فيها)، والأبيات في نهاية الأرب ٥/١٠٩.

التعريف:

١ ـ صَرْفُ الزَّمنِ: نوائبُه وحِدْثانُه.

٤ ـ فَنِعْمَ الجَلِيسُ وَنِعْمَ الأَنِيسُ
وَنِعْمَ السَّمِيرُ وَنِعْمَ السَّكَنْ

٤ ـ نهاية الأرب: (فنعم الأنيس ونعم الجليس). السَّكَنُ: ما يُسكَنُ إليه ويُستأنَسُ به.

* * *

ـ ٤٨ ـ

وقال: (مجزوء الكامل)

١ ـ إنَّ القَنَاعَةَ والعَفَا
فَ لَيُغنِيانِ عَنِ الغِنَىٰ
٢ ـ فَإذا صَبَرْتَ عَنِ المُنَى
فَاشكُرْ، فَقَدْ نِلْتَ المُنَى

.....

التخريج:
أدب الدنيا والدين ٢٠٨.

التعريف:
١ ـ يُغني عنه: ينوب عنه.

* * *

ـ ي ـ
ـ ٤٩ ـ

١ ـ بِأَبِي مَنْ حَقَّقَ الظَّنَّ بِهِ
فَأَتَانا زائِراً مُبْتَدِيَا

.....

التخريج:
الأغاني ٢٢/١٧٨ ـ ١٧٩، وفيه:

٢ ـ كـانَ كـالغَيْـثِ تَـراخَـى مُـدَّةً
وَأَتَـى بَـعْـدَ قُـنُـوطٍ مُـرْوِيَـ
٣ ـ طَـابَ يَـوْمَـانِ لَـنـا في قُـرْبِـهِ
بَـعْـدَ شَهْـرِيْـنِ لِهَـجْـرٍ مَضَيَـا
٤ ـ فَـأَقَـرَّ الـلَّهُ عَـيْـنـي وَشَـفَـى
سَـقَمـاً كـانَ لِـجِسْـمي مُـبْـلِيَـا

.....

(حدّثني جحظةُ قال: حدّثني عبدُ اللّهِ بنُ حمدونَ قال: اجتمعتُ أنا وإبراهيمُ بنُ المدبّرِ وابنُ مَنارةَ والقاسمُ وابن (كذا ولعل الواو زائدة) زُرْزُور في بُستان بالمَطِيرةِ، وفي يوم غيمٍ يُهريقُ رذاذه ويقطرُ أحسنَ قَطْر، ونحن في أطيب عِيشٍ وأحسنِ يومٍ، فلم نشعرْ إلّا بِعَريبَ قد أقبَلت من بعيدٍ، فوثبَ إبراهيمُ بنُ المدبّر من بيننا، فخرج حافياً، حتّى تلقّاها وأخذَ بركابها، حتّى نزلتْ وقبّلَ الأرضَ بينَ يديها، وكانتْ قد هجرتْه مدّةً لشيءٍ أنكرته عليه، فجاءتْ وجلستْ وأقبلتْ عليه مُبتسمةً، وقالت: إنّما جئتُ إلى مَن ها هنا لا إليكَ. فاعتذَرَ وشَيَّعْنا قولَه، وشَفَعْنا له فَرَضِيتْ وأقامتْ عندَنا يومَئذٍ وباتتْ، واصطبحنا من غدٍ، وأقامَتْ عندَنا فقالَ إبراهيمُ لعريب في هذا الشعرِ لحنانِ: رَمَلٌ وهَزَجٌ بالوسطى).

والأبيات في نهاية الأرب ١٠٨/٥.

التعريف:

٤ ـ أَقَرَّ اللّهُ عينَه: أعطاهُ وأرضاهُ.

* * *

المصَادر

- آل وهب من الأُسَر الأدبية في العصر العباسي، د: يونس أحمد السامرائي، مطبعة المعارف ـ بغداد ١٩٧٩ م.
- ابن خالويه وجهوده في اللغة، محمود جاسم محمد، رسالة ماجستير على الآلة الكاتبة.
- أخبار أبي تمام، لأبي بكر الصولي، ط (١)، ١٣٥٦ هـ ـ ١٩٣٧ م القاهرة.
- أخبار البحتري، لأبي بكر الصولي، ط (١)، تحقيق: د. صالح الأشتر، دمشق ١٣٧٨ هـ ـ ١٩٥٨ م.
- أدب الدنيا والدين، للماوردي، ط (١٦)، القاهرة ١٣٤٤ هـ ـ ١٩٢٥ م.
- أدب الكتّاب، لأبي بكر الصولي، مصر، القاهرة ١٣٤١ هـ.
- الأذكياء، لابن الجوزي، النجف، ١٣٨٩ هـ ـ ١٩٦٩ م.
- الأستاذ، مجلة ع٢، ١٩٧٨ ـ ١٩٧٩ م بغداد.
- إعتاب الكتّاب، لابن الأبّار، تحقيق: د. صالح الأشتر، ط (١)، دمشق ١٣٨٠ هـ ـ ١٩٦١ م.
- الأعلام، للزركلي، ط (٣)، بيروت ١٣٨٠ هـ ١٩٦٠ م.
- الأغاني، لأبي الفرج الأصفهاني، مصور طبعة دار الكتب.
- الأقلام، مجلة ج ١١، السنة (٥)، ١٣٨٩ هـ ـ ١٩٦٩ م.
- الاقتباس من القرآن الكريم، للثعالبي، تحقيق: د. ابتسام الصَّفار، بغداد ١٩٧٣ م.

obeikandl.com

- الأمالي، لأبي عليّ القالي، بيروت.
- البحتري في سامراء حتى نهاية عصر المتوكل، د. يونس أحمد السامرائي، بغداد ١٩٧٠ م.
- البحتري في سامراء بعد عصر المتوكل، د. يونس أحمد السامرائي، بغداد ١٩٧١ م.
- بدائع البَدائِهِ، لابن ظافر الأزدي، تحقيق: أبو الفضل إبراهيم، القاهرة ١٩٧٠ م.
- البصائر والذخائر، لأبي حيّان التوحيدي، تحقيق: د. إبراهيم الكيلاني، دمشق ١٩٦٤ م.
- البيان والتبيين، للجاحظ، تحقيق: عبد السلام هارون، ط (٤)، مصر ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م.
- تاج العروس، لِلزَبيدي، طبعة الكويت.
- تاريخ الأدب العربي، بروكلمان، ترجمة: د. عبد الحليم النجار، القاهرة ١٩٦١ م.
- تاريخ الأدب العربي، للزيات، ط (٢٥)، القاهرة.
- تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت.
- تاريخ الطبري، تحقيق: أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف بمصر ١٩٦٩ م.
- تاريخ اليعقوبي، النجف ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م.
- تمام المتون في شرح رسالة ابن زيدون، للصفدي، ط (١)، القاهرة ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م.
- ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، للثعالبي، تحقيق: أبو الفضل إبراهيم، مصر ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٥ م.
- الجاحظ حياته وآثاره، د. طه الحاجري، دار المعارف ١٩٦٢ م.
- جمع الجواهر، للحصري، تحقيق: البجاوي، مصر ١٩٦٢ م.
- جمهرة رسائل العرب، لأحمد زكي صفوت، ط (١)، القاهرة ١٣٥٦ هـ - ١٩٣٧ م.

- دلائل الإعجاز، لعبد القاهر الجرجاني، ط (٢)، القاهرة ١٣٨١ هـ - ١٩٦١ م.
- ديوان ابن الرومي، تحقيق: د. حسين نصار، القاهرة ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م.
- ديوان أبي تمام، بشرح التبريزي، تحقيق: د. محمد عبدة عزام، مصر.
- ديوان البحتري، تحقيق: حسن كامل الصيرفي، مصر ١٩٦٣ م.
- ديوان ديك الجن، تحقيق: د. أحمد مطلوب وعبد الله الجبوري، بيروت - لبنان.
- ديوان المعاني، لأبي هلال العسكري، بيروت ١٣٥٢ هـ.
- الديارات، للشابشتي، تحقيق: كوركيس عواد، ط (٢)، بغداد ١٩٦٦ م - ١٣٨٦ هـ.
- ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، للزمخشري، تحقيق: د. سليم النعيمي، بغداد.
- الرسالة العذراء، تحقيق: د. زكي مبارك، ط (١)، القاهرة ١٣٥٠ هـ - ١٩٣١ م.
- رسائل البلغاء، لمحمد كرد علي، ط (٤)، ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٤ م.
- رسائل الجاحظ، تحقيق: عبد السلام هارون، القاهرة ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م.
- رسائل سعيد بن حميد وأشعاره، د. يونس أحمد السامرائي، بغداد ١٩٧١ م.
- زهر الآداب وثمر الألباب، للحصري، تحقيق: د. زكي مبارك، ط (٢)، ١٣٧٢ هـ - ١٩٥٣ م.
- سامراء في أدب القرن الثالث الهجري، يونس أحمد السامرائي، بغداد ١٩٦٨ م.
- سمط اللآلي، لأبي عبيد البكري، تحقيق: عبد العزيز الميمني، ط (١)، القاهرة ١٣٥٤ هـ - ١٩٣٦ م.

- شرح مقامات الحريري، للشريشي، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، ط (١)، ١٣٧٢ هـ - ١٩٥٢ م القاهرة.
- شعر اليزيديينَ، جمع وتحقيق: د. محسن غياض، النجف ١٩٧٣ م.
- صبح الأعشى في صناعة الإنشا، للقلقشندي، مصور طبعة دار الكتب، القاهرة.
- الصداقة والصديق، لأبي حيّان التوحيدي، شرح وتعليق: علي متولّي صلاح، ١٩٧٢ م.
- الطرائف الأدبية، تحقيق: عبد العزيز الميمني، القاهرة ١٩٣٧ م.
- العقد الفريد، لابن عبد ربه، ١٣٧٥ هـ - ١٩٦٥ م بيروت (أوفست).
- الفاضل في صنعة الأدب الكامل، للوشاء، تحقيق: يوسف يعقوب مسكوني، بغداد ١٣٩٢ هـ - ١٩٧١ م.
- الفرج بعد الشدة، للتنوخي، تحقيق: عبود الشالجي، بيروت ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م.
- الفهرست، لابن النديم، القاهرة والطبعة الأوربية.
- فوات الوفيات، لابن شاكر الكتبي، تحقيق: د. إحسان عباس، بيروت ١٩٧٣ م.
- قطب السرور في أوصاف الخمور، للرقيق النديم.
- اللطائف والظرائف، للثعالبي، مخطوط في مكتبة د. محمود عبد الله الجادر.
- محاضرات الأدباء، للراغب، بيروت ١٩٦١ م.
- مختصر التاريخ، لابن الكازروني، تحقيق: د. مصطفى جواد، بغداد ١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م.
- مروج الذهب ومعادن الجوهر، للمسعودي، دار الأندلس، بيروت ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٦ م.
- المستطرف في كل فن مستظرف، للابشيهي، القاهرة.
- المشتبه في أسماء الرجال للذهبي، تحقيق: البجاوي، القاهرة ١٩٦٢ م.

- معاهد التنصيص، للعباسي، تحقيق: محيي الدين عبد الحميد، بيروت ١٣٦٧ هـ - ١٩٤٧ م.
- معجم الأدباء، لياقوت الحموي، تحقيق: د. أحمد فريد رفاعي، القاهرة.
- معجم البلدان، لياقوت الحموي، بيروت ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م.
- معجم الشعراء، للمرزباني، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، ١٣٧٩ هـ - ١٩٦٠ م.
- المنتحل، للثعالبي، تحقيق: أحمد أبو علي، الإسكندرية ١٣١٩ هـ - ١٩٠١ م.
- المورد، مجلة م ٢ ع ٢ ص ٤٥، بغداد.
- نهاية الأرب في فنون الأدب، للنويري، طبعة وزارة الثقافة والإرشاد، مصر.
- نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، للتنوخي، تحقيق: عبود الشالجي، بيروت ١٣٩١ هـ - ١٩٧١ م.
- الهفوات النادرة لغرس النعمة، تحقيق: د. صالح الأشتر، ط (١)، دمشق ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م.
- الوافي بالوفيات، للصفدي، بيروت ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م.
- الوزراء والكتاب، للجهشياري، ط (١)، القاهرة ١٣٥٧ هـ - ١٩٣٨ م.
- وفيات الأعيان، لابن خلكان، تحقيق: د. إحسان عباس، بيروت.
- الولاة والقضاة، للكندي، بيروت ١٩٠٨ م.